

للعلامة الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور

أضواء السلف

تقريض الكتاب

بقلم العلامة الجليل الاستاذ الاكبر الهمام مولانا الشيخ سيدي محمد ابن يوسف شيخ الاسلام الحنفي ابقى الله النفع به

حمدا لمن نظم جواهر البلاغة باسلاك البيان . والهم كل بليغ لمقتضى الحال والشان . واكرم من شاء بفضيلة الاحسان . والكلم الحسان . وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا محمد افصح من نطق بالضاد من بني معد وعدنان . المؤيد بالقرءان . الذي اعجز مصانع البلغاء من قاص ودان . فلم يكن لهم في معارضته يدان . صلى الله وسلم عليه وعلى ءاله واصحابه الفصحاء الجلة الاعيان . وبعد فقد اجلت النظر في غضون هذه الرسالة الوجيزة . والدرة الثمينة العزيزة . فوقفت منها على روضة زاهرة زاهية . قطوفها دانية لا تسمع فيها لاغية . فيها من تقريب العبارة . وتوضيح الاشارة . ما تتلقاه المدركة بمجرد الالتفات . ولا تخشى فيه الحافظة الفوات . معززة القواعد بمختارات الشواهد . وفرائد الفوائد . الى اعتبارات لطيفة . وتحقيقات شريفة . وانها لتبصرة للناشئين . وتذكرة للشادين والمتبصرين . جديرة بالتخصيص . لان تكون مبدأ لدراسة التلخيص . حسنة من حسنات ذلك الهمام ناشرا لوية العلوم . وكشاف غوامض الفهوم . مدبج صفحات المهارق ببدائع التحبير والتحرير . العلامة الجهبذ الاستاذ الدراكة النحرير . صفوة الخيرة ابي عبد الله الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي ادام الله فضله . وكم له في الفنون من يد حميدة . ومصنفات رائقة مفيدة . متع الله الامة بمواهبه العلمية . ومحرراته العبقرية . بمنه تعالى وكرمه كتبه الفقير الى ربه محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي لطف الله به في ١٢ ربيع الثاني سنة احدى وخمسين وثلاثمائة والف

قرار النظارة العلمية

الحمد لله   اما بعد فقد قررت النظارة العلمية تدريس موجز علم البلاغة لاهل السنة الاولى من المرتبة المتوسطة عوضا عن رسالة الوضع وكتب في ١٠ جمادى الاولى وفي ١٠ سبتمبر سنة ١٣٥١-١٩٣٢

محمد بن يوسف . محمد الطاهر ابن عاشور . محمد الطيب بيرم . صالح المالقي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

هذا موجز علم البلاغة

اما بعد حمدا لله الذي انطق البلغاء، وفضّل النبغاء، وميزهم عمن يُسرّ حَسْواً في ارتغاء . والصلاة والسلام على المرسل بالحنيفية لا أمْتَ فيها ولا شُغَاء . وكلّ من صغى الى دعوته افضل صُغَاء . فاني رايت طلبة العلم يزاولون علم البلاغة بطريقة بعيدة عن الايفاء بالمقصود اذ يبتدؤون بمزاولة رسالة الاستعارات لابي القاسم الليثي السمرقندي وهي زبدة مستخلَصة من تحقيقات المطول والمفتاح يحتسُونها قبل ابانها ثم يتناولون مختصر التفتازاني قبل ان ياخذوا شيئا من علم المعاني وفي ابتدائهم شوْط وفي انتقالهم طَفرة فرايت ان اضع لهم مختصرا وجيزا يلم بمهمات علم البلاغة ليكون لهم كالمقدمة لمزاولة دروس مختصر التفتازاني؛ وضعتُه وضعَ من يقصد الى تثقيف طلبة هذا العلم بالمسائل النافعة المجردة عن المباحث الطفيفة في فنون البلاغة الثلاثة فان هم اتقنوه فهْما ضمنت لهم ان ينطقوا بلسان فصيح . ويملأوا أوطاب اذهانهم من المحض الصريح .

مقدمة

البلاغة فَعالة مصدر بَلُغ بضم اللام كفقه وهو مشتق من بلَغ بفتح اللام بلوغا بمعنى وصل وانما سمي هذا العلم بالبلاغة لانه بمسائله وبمعرفتها يبلغ المتكلم الى الافصاح عن جميع مراده بكلام سهل وواضح ومشتمل على ما يُعينُ على قبول السامع له ونفوذه في نفسه فلما صار هذا البلوغ المعنوي سجيّة يحاوَلُ تحصيلُها بهذا العلم صاغوا له وزن فعُل بضم العين للدلالة على السجية فقالوا بلُغ فلان بلاغة كما قالوا ضخُم وسمّوا مجموع مسائل هذا العلم بمصدر بلُغ فقالوا علم البلاغة (١) فان المتكلم اذا تكلم فانما اهتمامه بان ينقل ما في ضميره الى ذهن سامعه فهو محتاج قبل كل شيء الى معرفة اللغة التي يريد ان يخاطب بها من مفرداتها وكيفية تركيبها فاذا لم يعلم ذلك لم يكد كلامه ان يُفهم وهذه المعرفة تحصل له من علم اللغة والنحو والصرف فان حاول تكلما بدون هذه المعرفة كان مَثَلُه كما قال الحطيئة في الشعر « يريد ان يعربه فيُعْجِمُه » (٢) ولكنه اذا علم اللغة والنحو والصرف فانما يستطيع ان يعبر عن

---

(١) وبيان ذلك ان اشتمال الكلام على الكيفيات التي تعارفها خاصة فصحاء العرب فكان كلامهم اوقع من كلام عامتهم وانفذ في نفوس السامعين وعلى ما شابه تلك الكيفيات مما ابتكره المزاولون لكلامهم وادبهم وعلى ما يحسن ذلك مما وقع في كلام العرب وابتكره المولعون بلسانهم يعد بلوغا من المتكلم الى منتهى الافصاح عن مراده

(٢) مثال ذلك ما حكاه الجاحظ انه سأل رجلا دخيلا في العربية عن صبي اخذته الشرطة في سرقة اتهم بها قائلا في : اي شيء اسلموا هذا الصبي ؟ فاجاب « في اصحاب سند نعال » اي في اصحاب النعال السندية . وقال مرة يشتم غلاما للجاحظ « الناس ويلك انت حياء كلهم اقل » يريد انت اقل الناس حياء واسم هذا الدخيل نفيس بن بريهة. وكما يريد احد ان يقول باع فرسين فيقول بيع فرس وفرس لانه لا يعرف كيف يصوغ ماضي باع ولا يعرف صيغة المثنى ولا الاعراب .

حاصل المراد واصل المعنى ولا يستطيع ان يفصح عن تمام المراد فلو اراد ان يخبرك بحضور تلميذ واحد من تلامذة درسه وتخلّف الباقين فقال لك حضر زياد لم تفهم الا انه اخبرك بحضور زياد لئلا تكتبه متخلفا ثم اذا علمت ان بقية التلامذة لم يحضروا فقلت له : ما بالك لم تخبرني بعدم حضور انس ونافع وغيرهما ؟ قال لك : الست قد اخبرتك بحضور زياد ولم اذكر لك غيره ؟ فدلك بقوله ذلك على قصوره في معرفة اداء جميع مراده على انه لو تنبه لزيادة البيان لقال حضر زياد لم يحضر انس لم يحضر نافع لم يحضر زهير واخذ يعدد بقية التلامذة او استعان بحركة يديه فقال لك حضر زياد ثم ضرب بيديه كالنافض لهما كأنه يشير الى معنى فقط فحينئذ ادى جميع مراده لكن بعبارة غير سهلة ومع اشارة فاذا كان قد علم الكيفية الخصوصية للتعبير عن هذا المراد وهي ان يقول ما حضر الّا زياد كان قد بلغ الى اداء جميع مراده بكلام سهل وكذا اذا اراد ان يخبرك عما ابلاه عنترة من الشجاعة والفتك في يوم من ايامه فجعل يقول قتل فلانا وجرح فلانا وضرب الفرس فادماه وهرّب راكبه وسبى نساءهم وحطم مشاتهم فانه قد دلّك على جميع مراده بعبارة غير واضحة في الدلالة على جميع المراد اذ قد يعييه العدّ فان هو قال لك « كان عنترة يومئذ اسدًا » فقد دلك على جميع المراد بكلام واضح الدلالة عليه . ولما كانت الكيفيات المذكورة لا تقع الا في كلام خاصة اهل اللسان العربي سموها بالخصوصيات نسبة الى الخصوص وهو ضد العموم الذي هو بمعنى الجمهور وتسمى بالنكت ايضا .

فالعلم الباحث عن القواعد التي تُصيّرُ الكلام دالا على جميع المراد وواضحَ الدلالة عليه يُدعى علمَ البلاغة. ثم ان هنالك محسنات للكلام متى اشتمل عليها اكتسب قبولا عند سامعه ولما كان حسن القبول يبعث السامعً على الاقبال على الكلام بشراشره وكان في ذلك عون على ايعاء جميع المراد جعلوا تلك المحسّنات اللفظية من لواحق مسائل هذا العلم سواء كان حسنها عارضًا للفظ من جهة موقعه

المعنوي (١) كالمطابقة في قول ابي ذؤيب الهذلي

أَمَا والذي ابكى واضحك والذي   اماتَ واحيى والذي أمْرُهُ الامر

ام كانَ حسنُها عارضا له من جهة تركيب حروفه كالجناس في قول الحريري :

سِمْ سِمَةً تحمد آثارها   واشكر لمن اعطى ولو سِمْسِمَة

فكلُّها تسمى المحسنات وتوابع البلاغة ويلقبونها بالبديع .

فانحصر علم البلاغة لذلكَ في ثلاثة فنون فن المعاني وهو المسائل التي بمعرفتها يستطيع المتكلم ان يعبر عن جميع مراده بكلام خاص . وسُمي علم المعاني لان مسائله تعلمك كيف تفيد معاني كثيرة في الفاظ قليلة : اما بزيادة لفظ قليل يدل على معنى حقه ان يؤدى بجمل مثل صيغة انما في الحصر، وكلمة إنَّ في التاكيد وردّ الانكار معا واما بان لا يزيد شيئا ولكنه يرتب الكلام على كيفية تؤدي بذلك الترتيبُ معنى زائدا مثل تقديم المفعول والظرف لافادة الحصر في نحو: الله احد، واياك نعبد وهذا الفن هو معظم علم البلاغة . وفن البيان وهو المسائل التي بمعرفتها يُعرف وضوحُ الدلالة على المراد كقولك : عنترة اسَد ؛ وحاتم كثير الرماد . وفن البديع وهو المسائل التي تبحث عن المحسنات اللفظية كما تقدم .

فتعريف علم البلاغة هو العلم بالقواعد التي بها يعرف اداء جميع المراد بكلام ذي اساليب خاصة واضحة مع ما يعين على قبوله وذلكَ بتوفيته خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وايداع المحسنات بلا كلفة مع فصاحة الكلام .

---

(١) المراد بموقع اللفظ المعنوي ان معناه الموضوع له في اللغة هو هو بحيث لا تجد له خصوصية في اختلاف معناه حتى يصير من مسائل علم المعاني بل يوجد موقع يكون فيه لوقوع ذلك اللفظ احسن من وقوع غيره فانه لو قال « اما والذي ابكى وارشد » لكان وقوع لفظ ارشد اقل من وقوع لفظ اضحك وكذلك لفظ ابكى لو وقع مع قوله والذي امات لم يكن له من الحسن ما كان له في موضعه الاول

(تاريخه) -كان هذا العلم منثورا في كتب تفسير القرآن عند بيان اعجازه وفي كتب شرح الشعر ونقده ومحاضرات الادباء من اثناء القرن الثاني من الهجرة فالف ابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ١٤٤ كتاب مجاز القرآن والف الجاحظ عمرو بن بحر المتوفى سنة ٣٤٤ كتبا كثيرة في الادب وكان بعض من هذا العلم منثورا ايضا في كتب النحو مثل كتاب سيبويه ولم يخص بالتاليف إلّا في اواخر القرن الثالث اذ الف عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي (المولود سنة ٢٤٧ والمتوفى سنة ٢٩٦ قتيلا بعد ان بويع له بالخلافة ومكث يوما واحدا خليفة) كتاب البديع اودعه سبعة عشر نوعا وعد الاستعارة منها

ثم جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني الاشعري الشافعي المتوفى سنة ٤٧١ فالف كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة اولهما في علم المعاني والثاني في علم البيان فكانا اول كتابين ميزا هذا العلم عن غيره ولكنهما كانا غير ملخصين ولا تامي الترتيب فهما مثل در متناثر كنزه صاحبه لينظم منه عقدا عند تاخيه فانبرى سراج الدين يوسف بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي المعتزلي المولود سنة ٥٥٥ والمتوفى سنة ٦٢٦ الى نظم تلك الدرر فالف كتابه العجيب المسمى مفتاح العلوم في علوم العربية واودع القسم الثالث منه الذي هو المقصود من التاليف مسائل البلاغة دونها على طريقة علمية صالحة للتدريس والضبط فكان الكتاب الوحيد اقتبسه من كتابي الشيخ عبد القاهر ومن مسائل الكشاف في تفسير القرآن للزمخشري فاصبح عمدة الطالبين لهذا العلم وتتابع الادباء بعده في التآليف في هذا العلم الجليل

فن المعاني

المعاني علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يكون بليغا فصيحا في افراده وتركيبه (١) فالفصاحة ان يكون الكلام خالصا اي سالما مما يعد عيبا في اللغة بان

---

(١) يعني تعرف احوال الالفاظ المفردة لتكون فصيحة وتعرف احوال الالفاظ المركبة وهي الجمل والكلام ليكون كلاما فصيحا وبليغا

يسلم من عيوب تعرض للكلمات التي تركب منها الكلام او تعرض لمجموع الكلام(١)

فالعيوب العارضة للكلمات ثلاثة الغرابة . وتنافر الحروف . ومخالفة قياس التصريف . والعيوب العارضة لمجموع الكلام ثلاثة التعقيد (٢) وتنافر الكلمات . ومخالفة قواعد النحو ويسمى ضعف التاليف

اما الغرابة فهي قلة استعمال الكلمة في متعارف اهل اللغة او تناسيها في متعارف الادباء مثل الساهور اسم الهلال ومثل تكأكأ بمعنى اجتمع وافرنقع بمعنى تفرق في قول ابي علقمة احد الموسوسين وقد اصابه صرع فاحاطت به الناس « ما لكم تكأكأتم علي كما تكأكأون على ذي جنة افرنقعوا » (٣) واما تنافر الحروف فهو ثقل قوي في النطق بالكلمة لاجتماع حروف فيها يحصل من اجتماعها

---

(١) اعلم ان الفصاحة من اخص اوصاف كلام العرب وعدها في علم المعاني من حيث انها شرط في البلاغة اذ لا يعتد بالكلام البليغ الّا اذا كان فصيحا فلما توقف وصف البلاغة على تعقل معنى الفصاحة ذكروها هنا لئلا يحيلوا المتعلم على علم آخر وقد كان الشان ان تعد الفصاحة من مسائل علم الانشاء والمتقدمون عدوها في المحسنات البديعة نظرا لكونها حسنا لفظيا لكن الحق ان كونها اقوى اعتبارا من البلاغة مانع من عدها في المحسنات التي هي توابع فالوجه عدها من مسائل الانشاء وان ذكرها هنا مقدمة للعلم وانما اشترطت الفصاحة في تحقق البلاغة لان الكلام اذا لم يكن فصيحا لم تقبل عليه افهام السامعين فيفوتها كثير مما اودعه المتكلم في كلامه من الدقائق

(٢) ويقال له التعقيد اللفظي وهنالك تعقيد يوصف بالمعنوي يرجع الى الكناية التي تخفى لوازمها خفاء شربدا كما قال بعض المهوسين في مدح بعض علماء تونس ❊ يا قريب العهد من شرب اللبن ❊ وقال اردت انه نال العلم على صغر سنه ولا حاجة الى التعرض له هنا لقلة جدواه ولانه لا علاقة له باللفظ الذي هو معروض الفصاحة ولان الفصاحة ليست من فن البيان ولا من فن المعاني بل هي من مقدمات الفن ولا شيء من المقدمات بمسائل

(٣) اعلم ان الحكم على الكلمة بالغرابة عسر جدا بالنسبة للمولدين لان استعمال العرب بُعد عنا وعليه فنحن نعرف غرابة الكلمة اما بكونها غير جارية على

ثقل نحو الهُعْخُع نبت ترعاه الابل واقل منه في الثقل مستشزرات بمعنى مرتفعات واما الثقل الذي لا يضجر اللسان فلا يضر نحو امدحهُ ونحو وسبّحهُ وقول زهير

❀ ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ❀

واما مخالفة قياس التصريف فهو النطق بالكلمة على خلاف قواعد الصرف

كما يقول في الفعل الماضي من البيع بَيَعَ لجهله بان حرف العلة اذا تحرك وانفتح ما قبله يقلب الفا.

واما التعقيد فهو عدم ظهور دلالة الكلام على المراد لاختلال في نظمه ولو كان ذلك الاختلال حاصلا من مجموع امور جائزة في النحو كقول الفرزدق يمدح ابراهيم بن هشام المخزومي خال الخليفة هشام بن عبد الملك

١ ٢ ٥ ٦ ٣ ٧ ٤
وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه

اراد وما مثله في الناس حي يقاربه اي في المجد الّا مملكا ابو ام الملك ابو هذا الممدوح فشتت اوصال الكلام تشتيتا تضل فيه الافهام (١) واما التنافر فهو ثقل الكلمات عند اجتماعها حين تجتمع حروف يعسر النطق بها نحو قول الراجز الذي لا يعرف

وقبرحرب بمكان قفر وليس قربَ قبرِ حرب قبرُ

فكل كلمة منه لا تنافر فيها وانما حصل التنافر من اجتماعها حتى قيل انه لا يتهيأ لاحد ان ينشد النصف الآخر ثلاث مرات متواليات فلا يتلعثم لسانه

الاوزان المتعارفة والحروف المالوفة نحو هَلَّوْف اي يوم ذوغيم . واما بكون الكلمة غير متكررة الاستعمال في المحفوظ من فصيح نظم العرب ونثرهم نحو خنفقيق اي الداهية المهلكة فقد قال المُهَلْهِل

قل لبني حصن يَرُدُّونه او يصبروا للصَّيْلم الخنفقيق

واما بوجود مرادف كثر استعماله ونسي الآخر نحو جيدر بمعنى قصير فانه ورد في كلامهم بقلة

(١) اذ يتوهم السامع انه يقول لا مثل له الّا ملكا جده للام حي وابوه يقارب جده للام في المجد او في العمر وهذا معنى مضحك

واما مخالفة قياس النحو فهو عيب كبير لانه يصير الكلام مخالفا لاستعمالات العرب الفصحاء فهو يعرض للمولدين والمراد منه مخالفة ما اجمع النحاة على منعه او ما كان القول بجوازه ضعيفا ووروده في كلام العرب شاذا نحو تعريف غير في كقول كثير من طلبة العلم الغير كذا ونحو تقديم التاكيد على المؤكد في قول المعري

تعب كلها الحياة فما اعـ   جب الّا من طامع في ازدياد

وكذلك كل ما جوزوه في ضرورة الشعر اذا وقع شيء منه في النثر فضعف التاليف عيب لا يوجب انبهام المعنى بخلاف التعقيد

والبلاغة اشتمال الكلام على احوال خصوصية (١) تستفاد بها معان زائدة على اصل المعنى (٢) بشرط فصاحته كاشتمال قوله تعلى «فقالوا انا اليكم مرسلون» على حالة خصوصية وهي التاكيد بان لافادة معنى زائد وهو توكيد الخبر لاجل ابطال تردد المخاطبين فيه وذلك امر زائد على اصل المعنى وهو الاعلام بكونهم رسلا الذي يكفي لافادته ان يقال أُرسلنا اليكم او نحن اليكم مرسلون وتسمى هذه الاحوال الخصوصية بالنكت وبالخصوصيات وهي تكثر وتقل في الكلام بحسب وجود الدواعي والمقتضيات من كثرة وقلة كالادوية فانها تشتمل على عقاقير كثيرة تارة وقليلة اخرى بحسب ما يحتاجه المزاج لاصلاحه . انظر مثلا قوله تعلى « هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور » فنجد في قوله

---

(١) نسبة للخصوص وهم خاصة الناس في هذا الباب اعني بلغاء الكلام لان هاته الاحوال لا توجد الّا في كلام البلغاء دون كلام السوقة ولئن وجدت في كلام السوقة فانها غير مقصود بها مرماها

(٢) اصل المعنى هو المقدار الذي يتعلق غرض المتكلم بافادته المخاطب سواء كان قليلا نحو نزل المطر او بزيادة معنى نحو نزل الجود ورسف فلان فانه يفيد ازيد من نزل المطر ومشى فلان لكنه افاده بمدلول الكلمات وقد تكون الزيادة في المعنى نحو جاء فلان الكاتب وكل هذا من قبيل اصل المعنى لان جميعه تعبير لزمت افادته فالحاصل ان اصل المعنى يطول ويقصر بحسب الغرض وهو فوائد اصلية . ثم اذا كيف المتكلم المعنى بكيفيات فتلك الكيفيات زائدة على اصل المعنى

« ينزل » خصوصيتين : احداهما التعبير بصيغة « فعّل » الدالة على التكرير . والثانية التعبير بصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار لان المقام للتبشير بزيادة الاخراج من الظلمات الى النور يوما فيوما وفي كل حال . وانظر قوله في الآية الاخرى « نزل عليك الكتاب بالحق » فلا تجد في « نزل » الّا خصوصية واحدة وهي التعبير بصيغة « فعل » لان المقام للامتنان . والامتنان يكون بما وقع لا بما سيقع والبليغ في اتيانه بهذه الاحوال في كلامه يراعي احوال المخاطبين ومقامات الكلام (١) فلا يأتي بنكتة وخصوصية الّا اذا رأى ان قد اقتضاها حال المخاطب واستدعاها مقام الكلام وبمقدار تفاوت المتكلمين في تنزيلها على مواقعها يتفاوت الكلام في مراتب البلاغة الى ان يصل الى حد الاعجاز الذي يعجز البشر عن الاتيان بمثله وهو الذي اختص به القرآن المنزل من حكيم حميد في جميع آياته والى حد قريب منه وهو الذي اختص به نوابغ بلغاء العرب مثل امرىء القيس والنابغة والاعشى وسحبان في اكثر كلامهم

وحيث كانت البلاغة يتصف بها الكلام باعتبار افادته عند التركيب والاسناد فلا جرم ان كان ملاك الامر فيها راجعا الى مايتقوم به الاسناد وكذلك كيفيات الاسناد والمسند اليه والمسند ثم تتفرع البلاغة في متعلقاتها من المعمولات واحوال الجمل وسيجيء كل نوع من ذلك في بابه

باب الاسناد

الاسناد ضم كلمة الى اخرى ضما يفيد ثبوت مفهوم احداهما لمفهوم الاخرى نحو حاتم كريم واكرم حاتما . او انتفاءه عنه نحو ما خالد جبانا ولا تقاتل خالدا سواء كان بالتعيين ام بالترديد (٢)

---

(١) احوال المخاطبين مثل حال المنكر والمتردد والمعتقد العكس في القصر وحال الذكي والغبي في ايراد الكناية واما المقامات فهي اغراض الكلام والمواقع التي يتكلم فيها البليغ مثل مقام الحرب ومقام السلم ومقام الحب ومقام الموعظة ومقام الاستدلال العلمي ومقام الخطابة الاقناعي

(٢) قصدت بهذه الزيادة ادخال نحو قام زيد او عمرو وإدخال الاستفهام

وحكم ما يجري مجرى الكلمة نحو الضمير المستتر والجملة الواقعة خبرا حكم الكلمة (١) فالكلمة الدالة على المحكوم عليه تسمى مسندا اليه والكلمة الدالة على المحكوم به تسمى مسندا والحكم الحاصل من ذلك يسمى الاسناد ولكل من المسند اليه والمسند والاسناد عوارض بلاغية تختص به

عوارض الاسناد واحواله

شاع ان الاسناد من خصائص الخبر فلذلك كثر ان يصفوه بالخبري بناء على ان الانشاء كالامر والنهي والاستفهام لا اسناد فيه والتحقيق ان الاسناد يثبت للخبر والانشاء فان في الجمل الانشائية مسندا ومسندا اليه فالفعل في قولك اكرم صديقك مسند والضمير المستتر فيه مسند اليه

واعلم ان القصد الاول للمخبر من خبره هو افادته المخاطب الحكم (٢) وقصد المتكلم بالجملة الانشائية ايجاد مدلول الانشاء ففي الامر يقصد ايجاد المامور به ويسمى الامتثال وفي النهي يقصد عدم ايجاد الفعل ويسمى الانكفاف وفي الاستفهام يقصد الجواب بالافهام وهكذا

وقد يخاطب بالخبر من يعلم مدلوله ويخاطب بالانشاء من حصل منه الفعل المطلوب فعله ان المتكلم قصد تنزيل الموجود منزلة المعدوم لنكتة قد تتعلق بالمخاطب اما لعدم جري العالم على موجب علمه كقول عبد بني الحسحاس

* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * فان المقصود منه تذكير من لم يزعه الشيب والاسلام اذ قد علم كل الناس انهما وازعان . واما لان حاله كحال ضده كقولك للتلميذ بين يديك اذا لم يتقن الفهم يا فتى فانك تطلب اقباله وهو حاضر لانه كالغائب

---

(١) اعلم انني نقحت تعريفهم للاسناد فاتيت بتعريف ينطبق على الخبر وعلى الانشاء ولذلك لم اذكر في التعريف لفظ الحكم بل قلت يفيد ثبوت مفهوم الخ لان في الانشاء ثبوتا وانتفاء لكن بلا حكم

(٢) إذ لا يقصد المتكلم من كلامه مجرد النطق به كالسعال والانين واما قول الحطيئة

ابت شفتاي اليوم الّا تكلما   بسوء فما ادري لمن انا قائله

فذلك ضرب من التمليح اذ جعل نفسه لا يستطيع البقاء بلا هجاء

واما لقصد الزيادة من الفعل نحو « يا ايها الذين آمَنوا آمنوا بالله ورسوله » فطالب منهم الايمان بعد ان وصفهم به لقصد الزيادة والتملي منه واما لاختلال الفعل حتى كان غير مجد لفاعله مثل قوله صلى الله عليه وسلم للذي رآه يصلي ينقر نقر الديك « صل فانك لم تصل » وهذا كثير في كلامهم . وقد تتعلق النكتة بالمتكلم ليريك انه عالم بالخبر كقولك لصاحبك سهرتَ البارحة بالنادي وقول عنترة

ان كنتِ ازمعت الفراق فانما   زُمَّتْ ركابكم بليل مظلم

وعلامة هذا ان يكون الكلام دالا على ان المخاطب لا يجهل الخبر فانك اذا حدثته عن احواله لا تقصد ان تعلمه بما هو معلوم لديه .

وللكلام في قوة الاثبات والنفي مراتب وضروب بحسب قدر الحاجة في اقناع المخاطب . فان كان المخاطب خالي الذهن من الحكم ولا تردد له فيه فلا حاجة الى تقوية الكلام . وان كان المخاطب مترددا في الحكم فالاحسن ان يقوى له الكلام بمؤكد لئلا يصير تردده انكارا كما قال الله تعلى « فقالوا انا اليكم مرسلون » لانهم كذبوا الرسولين الاولين فلما عززا بثالث كان القوم بحيث يترددون في صدقه . وان كان المخاطب منكرا وجب توكيد الخبر على قدر الانكار نحو « اني لكم نذير مبين » ونحو « انا اليكم لمرسلون » ونحو « ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون »

ويسمى الضرب الاول ابتدائيا . والثاني طلبيا والثالث انكاريا .

وادوات التوكيد إنَّ وأنَّ ولام الابتداء . ولام القسم . والقسم . والحروف الزائدة . وحروف التنبيه . وضمير الفصل ولن النافية هذه في الاسماء وقد واما الشرطية ونون التوكيد في الافعال وقد ينزل المخاطب المستحق لاحد هذه الأَضْرُب منزلة صاحب غيره منها لنكتة فيسمى ذلك اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر قال طرفة

لَعَمْرُكَ إنَّ الموتَ ما اخطأ الفتى   لَكالطِّوَل المُرْخَى وثنياه باليد

فاتى بثلاث مؤكدات القسم وان ولام الابتداء لقصد الرد على من كان حاله في لومه اياه على الكرم وتناول اللذات حال من ينكر ادراك الموت اياه مع ان مجيء الموت ولو بعد طول العمر امر معلوم لكل احد

وقد يجيء التوكيد بان لمجرد الاهتمام بالخبر دون انكار كقول النبيء صلى الله

عليه وسلم « ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا » ومن ذلك ان يكون في الخبر غرابة كالمثل « ان البغاث بارضنا يستنسر » او تهويل نحو « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » لان شان هذين النوعين ان ينكرهما السامع فيؤكد له من قبل حصول الانكار احتياطا تنزيلا له منزلة المنكر

والاسناد نوعان حقيقة عقلية ومجاز عقلي . **فالحقيقة العقلية** اسناد الشيء الى شيء هو من الامور الثابتة له في متعارف الناس اثباتا او نفيا فالاثبات كقول الصَّلَتَان العبدي

أشاب الصغير وافنى الكبير ‏ ‏ كر الغداة ومر العشي

لان الشاعر جاهلي وظاهر كلامه يشعر بانه يعتقد ان مرور الزمان هو سبب الشيب اذ لم ينصب قرينة على انه يعلم ان ذلك ليس سببا للشيب . والنفي كقوله تعلى « وما كانوا مهتدين » **والمجاز العقلي** اسناد الشيء الى غير ما هو له في متعارف الناس اثباتا او نفيا لملابسة بين المسند والمسند اليه . ومعنى الملابسة المناسبة والعلاقة بينهما . فاشهر ذلك ان يسند الفعل الى المتسبب فيه كقول ام زَرْع « أَنَاسَ من حلي أُذُنَيَّ وملا من شحم عَضُدَيَّ » فان زوجها لما اشترى لها النَّوَاس لتلبسه في اذنيها فهو قد اناس اذنيها وهذا قريب من الحقيقة ولما افاض عليها الخير والراحة حتى سمنت فقد تسبب في ملإ عَضُدَيْها بالشحم . وهذا مجاز عقلي للملابسة السببية وهناك ملابسات كثيرة نحو « عيشة راضية » مع ان الراضي صاحب العيشة . ونحو نهر جار مع ان الجاري ماؤه وانبت الربيع العُشب لان الربيع زمن الانبات . « يوما يجعل الولدان شيبا » لان اليوم ظرف للمشيبات . « يا هامان ابن لي صرحا » لانه الذي يامر بالبناء . « يوما عبوسا قمطريرا » والنفي كقوله تعلى « فما ربحت تجارتهم » فان نفي الربح لم يتعارف اسناده للتجارة بل انما يثبت الربح وينفى عن التاجر . وهو محتاج الى قرينة لفظية او معنوية ليفارق كلام البليغ كلام الغالط والهاذي والغبي

عوارض احوال المسند اليه

المسند اليه هو كاسمه ما ضم اليه غيره كما تقدم مثل المبتدأ . والفاعل . ونائب الفاعل . واسم كان . واسم ان . والاصل ان يكون المسند اليه مذكورا في الكلام وقد يحذف اذا دلت عليه قرينة نحو قوله تعلى « فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم »

اي انا عجوز. او لضيق المقام نحو قول رفيق الصياد (غـزال) او ليجري اللفظ مجري المثل فيكون موجزا نحو ـ رميةمن غير رام ـ اي رَمَيْتُكَ هذه .

والاصل في المسند اليه التعريف لان الحكم انما يكون على معروف فيكون المسند اليه معرفة من المعارف الستة المذكورة في النحو . فاذا تعين طريق من تلك الطرق الستة وجب الاقتصار عليه وان امكن الاتيان في تعريفه بطريقين فصاعدا كما اذا امكن التعبير عنه باسمه العلم او بالموصول وصلته او بالضمير تخير البليغ في ذلك وهو يراعي ما هو انسب فقد يختار تعريفه باسمه العلم لان في الاسم تعظيما مثل معز الدين والرضا او فيه اهانة نحو بولان ويسير فيقصد المتكلم الاشارة الى ان المسمى له حظ من اسمه فلذلك قال الشاعر

❊ ونضل يسير في البلاد يسير ❊

وقال النبيء صلى الله عليه وسلم « عُصَيَّةُ عصت الله ورسوله » (١) او لان في الاسم محبة وابتهاجا بذكره كما قال . . . .

بالله يا ظبـيات القـاع قلن لنا ليلاي منكن ام ليلى من البشر

فلم يقل ام هي من البشر ليعيد اسمها (٢)

وقد يختار الموصول لان الصلة تشعر بمعنى لا يمكن ان يؤدَّى بغير الجملة مثل معنى شعار الصلة بالتفخيم في قوله تعلى « فغشيهم من اليم ما غشيهم » . وكاختيار الموصول على المعرف بأل في قول زهير

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدَّم ومن لا يظلم النـاس يظلم

فانه لم يقل : المستسلم مهضوم مثـلا بل اتى بالموصول ليشير بالصلة الى علة الحكم وكاختيار المضاف على الاسم العلم في قوله تعلى « يآيها الناس اعبدوا ربكم »

---

(١) عصية بطن من بـني سليم كانوا كفارا فغدروا ببعض المسلمين يقال لهم القراء في موضع يدعى بئر مَعُونة سنة ٤ من الهجرة

(٢) وقد سبق علماء البلاغة الى التنبيه على ايراد العلم لقصد التلذذ ابو الطيب المتنبي اذ قال في مدح ابي شجاع عضد الدولة

اساميا لم تزده معرفـة وانما لـذةً ذكرناها

وقد يؤتى بالمسند اليه نكرة لعدم الداعي للتعريف نحو « وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى » فيدل على ان المسند اليه فرد مبهم من جنس . ثم يتوصل المتكلم بذلك الى افادة التعظيم تارة والتحقير اخرى وقد جمعهما قول مروان بن ابي حفصة (١)

له حاجب عن كل امر يشينه ... وليس له عن طالب العرف حاجب

ويعرف ذلك بالقرينة وسياق الكلام كقول عباس بن مرداس

وقد كنت في الحرب ذا تُدْرَإٍ ... فلم أُعط شيئا ولم أمنع

اي لم اعط شيئا عظيما بقرينه قوله ولم امنع

ومن اهم احوال المسند اليه حالة تقديمه فان تقديمه وان كان هو الاصل إلّا ان المتكلم قد يشير باختيار تقديمه مع تأتي تاخيره كأن ياتي به مبتدأ مع امكان الاتيان به فاعلا اذا كان الخبر فعلا وكالاتيان به مبتدأ وهو نكرة والخبر فعل مع ان الاصل حينئذ تقديم الفعل كما في قولهم بقرة تكلمت للاشارة الى ان ذلك للاهتمام بشانه . اما لان فيه فالا نحو سعد اتاك واما للتشويق نحو قول المعري :

والذي حارت البريّة فيه ... حيوان مُسْتَحدَث من جَماد

يريد حشر الاجساد . ومما التزمت العرب فيه التقديم لفظ مثل وغير في قولهم « مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود » اذا اريد انت لا تبخل وانت تجود فجعل مثل وغير كناية عن المخاطب ويشيرون الى هذا الجعل بالتقديم المفيد للاهتمام اذ لا وجه لهذا الاهتمام الا تنبيه الى ان المراد بمثل وغير معناهما الكنائي

عوارض احوال المسند

قد عرفت ان المسند هو الكلمة المضمومة الى غيرها لافادة ان مدلولها محكوم به لذلك الغير . فالمسند هو : خبر المبتدا . وفعل الفاعل او نائبه اذا كان الفعل تاما . واسم الفعل . والمبتدأ الوصف المستغني بمرفوعه عن الخبر لان ذلك المبتدا في قوة الفعل فلذلك عمل في الفاعل . وخبر كان واخواتها . وخبر ان واخواتها

---

(١) هو المكنى بابن ابي السّمط وهي كنية ابى حفصة لم تشتهر عند الادباء وقد نسب هذا البيت اليه بعنوان هذه الكنية فتوقف في معرفته الكاتبون حتى ان صاحب معاهد التنصيص ترك موضع ترجمته هنا بياضا

وقد نبهك هذا إلى أن المسند قد يكون اسما وقد يكون فعلا فلا جرم انك تتطلب الفرق بين الداعي للبليغ ان ياتي بالمسند مرة اسما ومرة فعلا : فاعلم انه ياتي به فعلا اذا اراد التقييد باحد الازمنة الماضي والحال والمستقبل على اخصر وجه فيغنيه ان يقول قدم صديقك عن ان يقول قدوم صديقك امس فيكون الاتيان بالفعل طريقا من طرق الايجاز عند ارادة افادة الزمان مع ما في الفعل من افادة كون الوصف غير ذاتي للمسند اليه ويزيد المضارع فيدل على تجدد الحصول (١) آنا بعد آن نحو « الله يستهزىء بهم » . وياتي البليغ بالمسند اسما عند ارادة عدم التقييد باحد الازمنة وارادة عدم التجدد فقولك زيد منطلق لا تعرض فيه لاكثر من اثبات وصف الانطلاق له فهو شبيه حينئذ بالصفات التي لا دلالة لها على شيء من الحدوث نحو زيد طويل مثال ذلك قوله تعلى حكاية عن المنافقين « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون » اشاروا الى ان الاستهزاء بالمؤمنين صفة ملازمة لهم ليست بامر حادث فيهم

ثم من احوال المسند الفعلي ان يقيد بالشرط على معنى اداة من ادواته المذكورة مع معانيها في كتب النحو فلا فائدة في ذكر تفاصيلها في هذا العلم وانما يتعلق الغرض ببيان الفرق بين الشرط بإن والشرط باذا لأن النحاة اهملوه فانهما مشتركتان في الدلالة على اصل التعليق والاستقبال دون زيادة لكن الغالب في الشرط بإن ان يدل على عدم اليقين بوقوع الشرط سواء كان مستقرب الوقوع لكن بلا جزم كقوله تعلى « وان تؤمنوا وتتقوا يوتكم اجوركم » فان ايمانهم وتقواهم واقعان (٢) او كان مشكوكا في وقوعه ضعيف الاحتمال كقول المعري

فان استطع في الحشر آتك زائرا   وهيهات لي يوم القيامة اشغال

واما اذا فاصلها الدلالة على اليقين بوقوع شرطها نحو « اذا جاء نصر الله والفتح »

---

(١) اشرت الى ان التجدد ينبغي ان يخص بالمضارع . واما الماضي والحال فلا يدلان إلّا على كون الوصف غير ذاتي وقد عبروا عن الامرين بالتجدد

(٢) والله يعلم من يؤمن ومن لا يؤمن وانما ابرز الكلام في صورة ما لا جزم فيه على طريقة العرب لو تكلموا في مثل هذا المقام لقصد حث المسلمين على الثبات في الايمان والتقوى كي يجزم المتكلم بحصولهما منهم

الآية هذا هو الاصل وقد جاء على ذلك قوله تعلى « فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطّيّروا بموسى ومن معه » لان نعم الله على العباد كثيرة والمصائب نادرة (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وقد تستعمل ان في مقام اليقين لتنزيل اليقين منزلة الشك كما اذا كان حال المخاطب حال من يشك في الامر اليقين كقول طرفة

الا ايها ذا الزاجري احضرُ الوغى　　　وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

فان كنت لا تستطيع دفع منيتي　　　فدعني ابادرها بما ملكت يدي

وتستعمل إذا في مقام عدم اليقين كتصور الأمر المحبوب كثيراً وقوعه لشدة تعلق القلب بكثرته كقول النابغة

اذا تغنى الحمام الوُرْق ذكرني　　　ولو ترحّلت عنها امّ عمار

واصل المسند التأخير عن المسند اليه . وقد يقدم ليفيد تقديمه قصر المسند اليه على المسند نحو « لا فيها غَول » اي ان عدم الغول مقصور على الكون في خمر الجنة وسيأتي في القصر . وقد شاع عند العرب تقديم اسماء الاعداد عند قصد جمع اشياء ليفيد التقديم تشويقا للمعدود نحو قوله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الّا ظله امام عادل الخ » ونحو « كلمتان حبيبتان الى الرحمن الحديث » ونحو قول محمد بن وُهيب في مدح المعتصم العباسي

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها　　　شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

وهذا كله ما لم يكن التقديم لسبب يحتم التقديم في النحو مثل تقديم ادوات الصدر في نحو كيف انت واين اللقاء ومتى الظعن . او لسبب يُعرف انه لفظي لا غرض فيه لغير اللفظ مثل التقديم لاجل السجع كقول الحريري في المقامة الثانية « فاذا هو مثافن لتلميذ . على خبز سميذ . وعجل حَنيذ وقبالتهما خابية نبيذ » فتقديم قوله قبالتهما على المسند اليه لقصد السجع اذ لا يحتمل معنى القصر .

واصل المسند التنكير وقد يعرّف لاغراض اهمها افادة القصر كما سياتي في بابه

عوارض احوال متعلّقات الفعل

وهي المفاعيل ؛ والظروف ؛ والمجرورات ، والحال ، والتمييز ، واهم ما يتعلق به غرض البليغ هو احوال المفاعيل وخاصةً المفعول به فانه الذي تعرض له احكام الحذف دون غيره من المفاعيل لانه اذا لم يذكر علمنا انه محذوف اذ الفعل المتعدي يطلب مفعوله طلبا ذاتيا ناشئا عن وضع معنى الفعل المتعدي فان الفعل اللازم وضع ليدل على حدث صادر من ذات واحدة والفعل المتعدي وضع ليدل على حدث صادر من ذات ومتعلق باخرى . اما بقية المفاعيل فانها اذا لم تذكر لا يوجد دليل يدل على ان المتكلم قصد ذكرها (١) ثم حَذَفها وكذلك احكام التقديم انما تغلب مراعاتها في المفعول به

فاذا لم يذكر المفعول به مع فعله المتعدي اليه ولم تكن قرينة على تقديره فحذفه حينئذ قد يكون لاظهار ان لا غرض بتعليق ذلك الفعل بمفعوله فينزل الفعل حينئذ منزلة اللازم بحيث يكون النطق به ليس الّا لقصد الدلالة على اصل معناه الحدثي اذا لم يجد المتكلم فعلا أخر يدل على ذلك المعنى او لم يستحضره فحينئذ لا يقدر لذلك الفعل مفعول نحو « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقول البحتري يمدح المعتز بالله العباسي

شجوُ حساده وغيظ عِداه ... ان يرى مبصر ويسمع واعي

فلم يذكر مفعول يرى ويسمع لانه أراد أن يوجد راء وسامع فلا غرض لمعرفة مفعول . والمعنى ان الرائي لا يرى إلّا آثار الخليفة الحسنى والسامع لا يسمع الّا ثناءه . وقرينة ذلك قوله شجو حساده . لان ذلك هو الذي يشجو حساده ويغيظ عداه

---

(١) اي لا يوجد دليل من جهة نفس اقتضاء الفعل لواحد منها وان كان قد يوجد دليل لفظي مثل وقوع الفعل في جواب سؤال مقيد ببعض تلك المفاعيل الا ان المقدر كالمذكور كقول الشاعر

اتصحو ام فؤادك غير صاح ... عشية هم قومك بالرواح

فانك لو قدرت له جوابا فقلت نعم اصحو لكان التقدير اصحو عشية هم قومي

وقد يكون الحذف لقصد التعميم مثل «والله يدعو الى دار السلام» اي يدعو كل احد وانما قلنا آنفا «ولم تقم قرينة على تقديره» لانه ان كان المفعول مقدرا منوي اللفظ فهو كالمذكور والقرينة اما من نفس الفعل بان يكون مفعوله معينا لانه لا يتعدى الّا اليه كقول عمرو بن معديكرب

فلو ان قَوْمي انطقتْني رِماحُهم   نَطَقْتُ ولكنَّ الرماحَ أَجَرَّتِ

فان فعل اجر معناه شق اللسان فمفعوله متعين . واما بان يكون عليه قرينة لفظية وهو كثير .

واما تقديم المفعول وما بمعناه كالجار والمجرور والظرف فقد يكون للحصر نحو « اياك نعبد » وفي الحديث الصحيح « ففيهما فجاهد » يعني الابوين (١) وهو كثير في كلامهم . وقد يكون لمجرد الاهتمام نحو « واما ثمود فهديناهم » في قراءة النصب وقد يكون لغرض لفظي كالسجع والفاصلة في نحو « ثم الجحيم صلّوه . ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » .

القصر (٢)

القصر تخصيص حكم بمحكوم عليه بحيث لا يثبت ذلك الحكم لغير ذلك المحكوم عليه . او تخصيص محكوم عليه بحكم بحيث لا يتصف ذلك المحكوم

---

(١) لان السائل طلب منه ان يوجهه للجهاد فقال له الك ابوان قال نعم قال ففيهما فجاهد . وكانا كبيرين

(٢) القصر مع كونه بابا له مباحث مهمة في علم البلاغة هو ايضا له تعلق كبير بالابواب الثلاثة التي مضت فان الاسناد والتعلق يتكيفان بالقصر في بعض الاحوال فكانت مسائل القصر تجري في المسند اليه وفي المسند وفي متعلقات الفعل وشبهه اعني المفاعيل والحال والظرف والتمييز والموصوف والصفة ولذلك اخر بابه عن الابواب الماضية لكونه ليس اشد تعلقا بواحد منها منه بالاخر . مثال قصر الحال على صاحبها والعكس ما جاءني راكبا الّا زيد وما جاءني زيد الّا راكبا . ومثال قصر التمييز ما طاب زيد الّا نفسا وما طاب نفسا الّا زيد

عليه بغير ذلك الحكم بواسطة طريقة مختصرة تفيد ذلك التخصيص قصدا للايجاز فخرج بقولنا بواسطة طريقة مختصرة إلخ نحو قول السموأل:

تسيل على حد الظُبات نُفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

فان هذا المثال اقتضى تخصيص سيلان النفوس اي الدماء بالكون على حد الظبات لكن ذلك ليس مدلولا بطريقة مختصرة بل بجملتي اثبات ونفي

والمراد بالحكم والمحكوم عليه الامر المقصود قصره او القصر عليه سواء كان احد ركني الاسناد نحو «ما محمد الّا رسول» ام كان متعلّق احدهما كالمجرور المتعلق بالمسند في قول كعب بن زهير

لا يقع الطعن الّا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

فقصر وقوع الطعن على الكون في نحورهم وكالحال المخصصة للمسند اليه نحو : انما الشاعر زهير راغبا . اذا اردت قصرا ادعائيا في حالته هذه (لقولهم : زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وعنترة اذا ركب) .

وكالظرف في قول عمر بن ابي ربيعة

فقالت والقتْ جانب السِّتر انمـا معي فتحدّثْ غيرَ ذي رِقْبَةٍ اهلي

اي انك لا تتحدث الآن الّا معي فقل ما شئت . فالمخصوص بشيء يسمى مقصورا والمخصوص به شيء يسمى مقصورا عليه والمقصور هو الذي لا يتجاوز المقصور عليه لغيره والمقصور عليه هو الذي لا يشاركه غيره في الشيء المقصور . فالاختصاص والحصر مترادفان .

والقصر اما قصر موصوف على صفة بمعنى ان لا يتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة اخرى . واما قصر صفة على موصوف والمراد بالصفة والموصوف هنا الحكم والمحكوم عليه لا الصفة المعروفة في النحو .

وطرق القصر ستة وهي : النفي مع الاستثناء . وانما . والتقديم لما حقه التاخير من مسند ومفعول ومعمول فعل . والعطف بلا وبل ولكن . او ما يقوم مقام العطف من الدلالة على الاستدراك باثبات بعد نفي او عكسه . وتعريف المسند . وتوسيط ضمير الفصل . وهذه امثلتها على الترتيب : قول لبيد

واما المرء الّا كالشهاب (١) وضوئه يحور رمادا بعدَ اذ هو ساطع

وقوله تعلى « انما حرم عليكم الميتة » . وقوله تعلى « لكم دينكم ولي دين » وقوله تعلى « اياك نعبد » وفي ذلك « فليتنافس المتنافسون »

ومثال طريق العطف بلكن بعد الواو قوله تعلى « ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » وكذا قوله تعلى « من كفر بالله من بعد ايمانه الّا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله » فهو قصر بعد قصر لان قوله « الّا من اكره » اخرج المكره من الكافر ثم اخرج منه من شرح بالكفر صدرا فالتقدير من كفر بالله مكرها لا غضب عليه ولكن من شرح بالكفر صدرا . واعلم ان هذه الآية فيها ثلاثة طرق من طرق القصر . ومثال العطف بلا « اللهم حوالَيْنَا ولا علَينا » فالواو زائدة والمعنى لا تُنزل المطرَ الا حوالَينا

واما طريق تعريف المسند فاعلم ان التعريف الذي يفيد القصر هو التعريف بلام الجنس فاذا عرّف المسند بها افاد قصر الجنس على المسند اليه نحو « انت الحبيب » قصر تحقيق و « همُ العدو » قصر ادعاء « والحزم سوء الظن بالناس » قصر قلب « ان شانئك هو الابتر » كذلك

واما توسيط ضمير الفصل فنحو « الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده » ونحو « كنت انت الرقيب عليهم » و « ان ترن انا اقل منك مالا وولدا » وضمير الفصل هو ضمير يتقدم على الخبر ونحوه . ولا يفيد اكثر مما افادته النسبة لعدم الحاجة اليه في ربط

واعلم ان طريق النفي والاستثناء وانما والعطف بلا وبل ولكن ؛ متعينة للقصر . واما التقديم وتعريف المسند والفصل فقد تكون للقصر وقد تكون لغيره ولكن الغالب كونها للقصر فيُستَدَلُّ عليه منها بمعونة القرائن في المقام الخُطابي

---

(١) المراد بالشهاب قبس النار ومعنى يحور يرجع كقوله تعلى « انه ظن ان لن يحور »

والقصر نوعان حقيقي واضافي لان التخصيص لشيء بشيء ان كان مبنيا على انه كذلك في الواقع ونفس الامر فهو القصر الحقيقي . وان كان مبنيا على النظر لشيء آخر يقابل الشيء المخصص به فقط لابطال دخول ذلك المقابل فهو قصر اضافي تدل عليه القرينة . فالاول كقولك انما الخليفة فلان . والثاني كقولك انما الكاتب زيد اي الا عمرو ردا على من زعم ان عمرا كاتب ولا تريد ان زيدا هو الكاتب في الارض او في البلد دون غيره والحزم سوء الظن بالناس اي ليس حسن الظن بحزم ولم يرد ان الحزم كله في سوء الظن . ومن القصر الحقيقي ما يسمى بالادعاءي وهو ان تدعي قصر الصفة على الموصوف لقصد المبالغة نحو قوله تعلى « ان يدعون من دونه الّا اناثا » مع انهم دعوا هُبَل ويغوث ويعوق لكنهم لما اكثروا دعوة اللات والعزى ومناةَ جُعلوا كالذي لا يدعو الّا اناثا . وقوله في حق المنافقين « هم العدو فاحذرهم » مع ان المتظاهرين بالشرك والكفر اعداء لكن لما كانت مضرة عداوة المنافقين اشد جعلت عداوة غيرهم كلا عداوة

الانشـــاء

الكلام كله اما خبر او انشاء . فالخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب بان يكون للنسبة المعنوية التي تضمنها الكلام خارج اي وجود في نفس الامر يوافقها تارة ولا يوافقها اخرى . فان وافقها الخارج فهي صادقة وان خالفها فهي كاذبة لان الخبر يقصد منه حكاية ما في الوجود الخارجي فلا جرم لزم عرض نسبته على ما في الخارج . فان نشأ عن ذلك العَرض علم بانها مطابقة للخارج المحكي فهي صادقة او عُلمَ بانها غير مطابقة بل هي مخالفة للخارج فهي كاذبة .

والانشاء الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لانه لم يقصد منه حكاية ما في الخارج بل هو كاسمه احداث معنى بالكلام لم يكن حادثا من قبل في قصد المتكلم . وكل ما تقدم من الاحكام في الابواب الماضية يجري في الخبر والانشاء فلا غرض لذكر باب يخص الانشاء هنـا الّا للتنبيه على الفرق بينه وبين الخبر وللاشارة الى احكام قليلة بلاغية تختص بالانشاء .

ينقسم الانشاء الى قسمين طلبي وغير طلبي . فالطلبي هو الامر . والنهي .

والاستفهام . والتمني . والترجي . والنداء . وغير الطلبي . القَسَم . والتعجب . وانشاء المدح والذم نحو نعم وبئس . وانشاء الوجدانيات كالتحسر والفرح والترحم . وصيغ العقود نحو ابيع واشهد . والاجوبة الدالة على الامتثال كجواب النداء نحو لبيك وسمعا وطاعة . وصيغها وادواتها واحكامها مقررة في النحو . وانما الذي يهم البليغ من احوال الانشاء مسائل :

الاولى — قد ياتي الانشاء في صورة الخبر وهو ما يعبرون عنه بالخبر المستعمل في الانشاء مثل استعماله في الدعـاء في نحو « رحمه الله » . وفي الطلب نحو قـول الظمئان إني عطشان . والتحسر نحو قول جعفر بن عُلْبة الحارثي

هواي مع الركب اليمانين مُصْعِدُ   جَنيب وجُثماني بمكة موثَق

والسؤال نحو « رب اني لما انزلت الي من خير فقير »

الثانية — يستعمل بعض صيغ الانشاء في بعض فيجيء الامر للتمـني نحو قول امرىء القيس

الا ايها الليـل الطويل الّا انجلِ   بصبح وما الاصباح منك بامثلِ

فقوله انجل تَمَنٍّ . وللتعجب نحو قوله تعلى « انظر كيف ضربوا لك الامثال » ويجيء الاستفهام للنهي نحو « اتخشونهم فالله احق ان تخشوه » . وللامر نحو « فهل انتم منتهون » . وللتعجب نحو « وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعـام » . ويجيء النداء للتعجب في باب الاستغاثة نحو قول امرىء القيس

فيا لك من ليل كأنَّ نجومه   بكل مُغـار الفتـل شدت بيذبُل

(تنبيـه) هذه الاستعمالات المذكورة في المسألتين من قبيل المجـاز المركب المرسل . والعـلاقة العامة في جميعها هي اللـزوم ولو بعيدا . وقد تتطلب لبعض استعمالاته علاقات اخرى بحسب المواقع .

المسألة الثالثة — قد تستعمل صيغ الانشاء في مَن حاله غير حال من يساق اليه ذلك الانشاءُ كأمر المتلبس بفعل بان يفعله نحو « يايها الذين آمَنوا آمنوا » . وكنهي من لم يتصف بفعـل عن ان يفعله نحو « ولا تحسبنَّ الله غافلا عما يعمل الظالمون »

ويشعُر . « والسماء رفعها » الى قوله « والارض وضعها للانام » (١) بخلاف نحو زيد يكتب وينام . ويعطي وينظم الشعر . وخرجت من السوق وابدع امرؤ القيس في شعره . وان كان كل ذلك كلاما صادقا حتى كان العطف في المقام الذي لا توجد فيه المناسبة مؤذنا بمقصد كمقصد التشبيه في قول كعب « ان الاماني والاحلام تضاليل » . فان الكلام على مواعيد سُعاد وامانيها ولا كلام على الاحلام فلما عطف الاحلام على الاماني علمنا انه قصد تشبيه امانيه الناشئة عن دعواها بالاحلام في اللذاذة وعدم التحقق

وهذا وجه الاحتراز فيما مضى بقولي « المنتظمة بحسب المتعارف » وقد يكون التناسب موهوما ومجرد دعوى في المقامات الشعرية واللطائف كقوله

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

وقد يكون التناسب غريبا نابعا لتناسب شيئين آخرين كقوله تعلى « والنجم والشجر يسجدان » فان التناسب او جده ما ياتي بعده من قوله « والسماء رفعها » وقوله « والارض وضعها » لان النجم من توابع السماء والشجر من توابع الارض

ثم يكفي في هذه المناسبة التقارن في الغرض المسوق له الكلام

ولهذا كان العطف بالفاء وثم وحتى اوسع في هذه المناسبة المشروطة . لان الترتب او المهلة او الغاية كلها مناسبات كافية لتصحيح العطف لانها دالة على التقارن في الوجود . وهذا التقارن مهيء للمناسبة ومسوغ للعطف لكنه يزداد حسنا اذا قوي التناسب ولذا كان اصل الفاء التفريع ما لم تبعد المناسبة . الا ترى كيف حسن العطف في قول عمرو بن كلثوم :

نزلتم منزل الاضياف منا فعجّلْنا القرى ان تشتمونا (٢)

---

(١) فقوله — زيد يكتب الخ — مثال للتماثل . وقوله — يعطي ويمنع — مثال للتضاد وقوله والسماء رفعها » الآية مثال لشبه التضاد . ويجمع امثلة القرب من التماثل والتضاد قوله تعلى « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت » الآية

(٢) هذا تهكم اي نزلتم بارضنا لحرْبنا فبادرنا بقتالكم . فجعل نزولهم ضيافة وقتاله اياهم قرى . فلما عبر عن المعنيين المتناسبين في الحقيقة بمعنيين مجازيين متناسبين وكانا مترتبين في الوجود حسن العطف بالفاء واو غير احدهما لقبح العطف . فلو

وكيف يقبح العطف بالفاء لو قلت جاء زيد فصفعوه . ويزيد قبحا لو قلت جاء زيد فنهق الحمار لبعد المناسبة (١) وكيف يحسن ان تقول طلع الفجر فأذن المؤذن . وقول ابن زمرك

هبَّ النسيم على الرياض مع السَّحَر فاستيقظتْ في الدَّوح أجفان الزَّهَر

ويكون دونه حسنا — طلع الفجر فصاح الدِّيك — وكيف يقبح ان تقول طلع الفجر فاستيقظ زيد اذا لم يكن الحديث قبل ذلك على زيد

اذا تحققت هـذا فاعلم انه يتعين الوصل اذا اريـد تشريك الجملة المعطوفة للجملة المعطوف عليها في حكمها في الاعراب كعطف الجمل المعمولة لعامل واحد بعضها على بعض (٢) او التشريك في حكمها في المعنى وان لم يكن للمعطوف عليها محل من الاعراب

والمراد من الحكم الكيفية الثابتة لمفهوم الجملة المعطوف عليها مثل حكم القصر في قوله تعالى « انما انت منذر ولكل قوم هاد » فقد عطف جملة « ولكل قوم هاد » على جملة انما انت منذر لان المقصود تشريكها في حكم القصر . اذ المقصود من الجملتين الرد على من اعتقد خلاف ذلك (٣) وليس للجملتين محل من الاعراب

ويتعين الفصل اذا اريد التنبيه على ان الجملة الثانية منقطعة عن الاولى اي غير

قال — نزلتم الخ فقاتلناكم ان تشتمونا — لكان ترتبا غريبا قبيحا . ولو قال — نزلتم منزل الاعداء * منا فعجلنا القرى الخ — لكان قبيحا كذلك

(١) لان الصفع لا يترقب حصوله اثر المجيء لكنه لتعلقه بزيد كان فيه رائحة مناسبة فكان قبحه اضعف من قبح المثال الذي بعده

(٢) شرط هذا العامل ان يفيد حكما معتبرا فلذلك تعتبر الجمل المحكية بالقول كانها لم يجمعها عامل إعرابي فلا يعطف الثانية منهـا على الاولى وانما تاخذ حكم الجمل حين نطق بها قـائلها . الّا اذا اريد التنبيه على تكرر القول نحو « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » اذا جعلنا الواو للعطف في المقول

(٣) اي الذين اعتقدوه انه غير منذر وكذبوه والذين اعتقدوا انه لا رسول الّا الرسل الذي مضوا او اعتقدوا انه لا رسول بعد موسى عليه السلام

مشاركة لها لا في الحكم الاعرابي نحو قوله تعلى «قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون الله يستهزىء بهم » لم تعطف جملة « الله يستهزىء بهم » لئلا يظن السامع انها من قولهم . ولا في مجرد الحكم المعنوي حيث لم يكن اعراب نحو قوله تعلى « انما انت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل انثى » لم تعطف جملة الله يعلم لانه لـم يقصد دخولها في حكم القصر اذ لا قصد للرد على معتقد ان الله لا يعلم ما تحمل كل انثى اذ لم يكن في المخاطبين من المشركين واهل الكتاب من يعتقد ذلك . وكذا قولهم ـ مات فلان رحمه الله ـ فلو عطف ـ رحمه الله ـ لظن ان الجملة الدعائية اخبار عن فعل الله معه .

فالفصل في هاته الامثلة كلها لاجل انقطاع الجملتين بعضهما عن بعض كما رايت .

ويتعين الفصل ايضا اذا كانت الجملة الثانية عين الاولى في المعنى او في محصل الفائدة لان العطف يقتضي المغايرة : فالتي هي عين الاولى في المعنى نحو قول الشاعر الذي لم يُعرف .

اقول له ارحَل لا تقيمن عندنا   والّا فكن في الجهر والسر مسْلما

فان معنى لا تقيمن هو ما يفيده معنى قوله ارحل . فكانت الجملة الثانية كبدل الاشتمال من الاولى (١) والتي هي عين الاولى في محصل الفائدة مثل المؤكدة نحو « ذلك الكتاب لا ريب فيه » فجملة لا ريب فيه مؤكدة لمعنى ذلك الكتاب

ومن انواع الوصل عطف طائفة من الجمل على مجموع طائفة اخرى بحيث تعطف قصة على قصة او غرض على غرض في الكلام فلا تلاحظ الّا المناسبة بين القصة والقصة والغرض والغرض لا بين اجزاء كل من القصتين حتى اذا وليت الجملة الاولى من القصة المعطوفة احدى جمل القصة المعطوف عليها لا يُتطلب وجه لتلك الموالاة لانها موالاة عارضة . وهذا نحو عطف قوله تعلى « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات   الخ على قوله تعلى « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا »

---

(١) وكذلك قوله تعلى « فوسوس اليه الشيطان قال يئادم » الآية فانْ جملة ـ قال يئادم ـ بيان للوسوسة فكانت كعطف البيان فلم تحتج للربط .

لان قوله – وان كنتم في ريب – مسوق لبيان عقاب الكافرين وقوله – وبشر – مسوق لبيان ثواب المؤمنين . ونظيره من عطف المفردات قوله تعالى « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » فانه لو قصد عطف الظاهر على الآخر لم يحسن وانما القصد عطف وصفين متقابلين على وصفين متقابلين وكلها لموصوف واحد .

عطف الانشاء على الخبر وعكسه منع بعض علماء العربية عطف الانشاء على الخبر وعطف الخبر على الانشاء والحق ان ذلك ليس بممنوع وهو كثير في الكلام البليغ وقد قال الله تعلى « واذكر عبدنا داوود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب » عطف – وهل اتاك على أخبار داوود –

واعلم انه قد يخالف الظاهر فيؤتى بالوصل في مقام الفصل وبعكسه لقصد دفع ايهام ينشأ عن ارتكاب مقتضى الظاهر كما جاء الفصل في قول الشاعر الذي لم يعرف :

وتظن سلمى أنني ابغي بها بدلا أراها في الضلال تهيم

كان الظاهر عطف جملة – اراها – لكنه فصلها لئلا يتوهم السامع ان ذلك مما تظنه سلمى فالوصل سببٌ منع منه مانع .

وكما جاء الوصل في نحو قولهم (لا وايدك الله) فان الظاهر الفصل لان الجملتين غير مشتركتين في الحكم (١) ضرورة ان احداهما خبر والاخرى انشاء فقد وجد مانع الوصل ولكنه خلفه مقتض اذ لو فصل لتوهم الدعاء بنفي تاييده

هذه معاقد احوال الفصل والوصل وفي وجوه الاتصال والانفصال المرتب

---

(١) حكى الادباء ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه مر برجل في يده ثوب فقال له ابو بكر : اتبيع هذا الثوب ؟ قال لا رحمك الله . فقال ابو بكر « قد قومت ألسنتكم لو تستقيمون لا تقل هكذا قل رحمك الله لا . وقيل قال له قل لا ورحمك الله .

عليهما الوصل والفصل تفاصيل واعتبارات دقيقة يجب ارجاؤها لكتب مرتبة ارقى من هذه (١)

الايجاز والاطناب والمساواة

الاصل في الكلام ان يكون تادية للمعاني بالفاظ على مقدارها اي بان يكون لكل معنى قصده المتكلم لفظ يدل عليه ظاهر أو مقدر (٢) وتسمى دلالة الكلام بهاته الكيفية مساواةً لان الالفاظ كانت مساوية للمدلولات فاذا نقصت الالفاظ عن عدد المعاني مع ايفائها بجميع تلك المعاني فذلك الايجاز مثل الحذف لما شانه ان يذكر في كلامهم اذا قامت القرينة ومثل توخي لفظ يدل على مجموع معان اذا كانت الغالب في الكلام الدلالة على تلك المعاني بعدة الفاظ . فقول بشار :

من راقب الناس لم يظفَر بحاجته   وفاز بالطيبات الفاتك اللَّهِجُ

مساواةٌ . وقول سَلْم

من راقب الناس مات كمدا   وفاز باللذة الجسور

ايجاز . واذا زادت الالفاظ على عدد المعاني مع عدم زيادة المعاني فذلك الاطناب مثل التوكيد اللفظي والتكرير وذكر الخاص بعد العام والتفسير نحو « ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا » الخ . ومثل قوله

---

(١) مسائل الفصل والوصل من اصعب مسائل فن البلاغة لكثرة ما فيها من التفاصيل التي يعسر ضبطها بقاعدة تجمعها ولقد فرعها السكاكي تفريعا زادها صعوبة وانا خالفت طريقته وطريقة التلخيص في هذه الرسالة فابتدات الباب بما يفتح بصائر المتعلمين في تمييز خليطها واقتضبت في خلال ذلك من مهم كلام القوم ما يمكن بايدي الطلبة مفاتيح معاقدها وضربتُ صفحا عما عدا ذلك تاركا اياه الى ان تتهيأ الافهام بعد هذه المرتبة

(٢) لان ما كان اسلوب كلامهم على تقديره كالضمير المستتر في فعل الامر وكحذف المستثنى منه في الاستثناء المفرغ يعتبر كالمذكور فلا يعد حذفه ايجازا

الألمعي الذي يظن بك الظن   ن كأن قد راى وقد سمعا

ومبنى كلام العرب على الايجاز ما وجدوا اليه سبيلا لان الأمة العربية أمةٌ ذكيّة فابتنَى كلامها على مراعاة سبق افهامها (١) فقول المبرد في كامله « من كلام العرب الايجاز المفهم والاطناب المفخم » تنويع للكلام لا قصد للتساوي بينهما. وكلها تجري على حسب مقتضى الحال .

اما المساواة فنحو قوله تعلى « ولا يحيق المكر السيء الّا باهله » والايجاز يكون ايجاز حذف وايجاز اختصار او قصر (بكسر القاف وفتح الصاد) فايجاز الحذف كحذف المسند اليه والمسند والمفعول والتحذير والاغراء . وحذفُ المفعول اكثر انواع الحذف في الايجاز نحو قد كان منك ما يسوء اي كلّ احد ونحو « والله يدعو الى دار السلام » وحذف المضاف نحو « واسأل القرية » وحذف الصفة نحو « فاردتُ أنْ أَعيبَها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة » اي صالحة . وحذف الجملة او الجمل التي يدل عليها السياق نحو « ان اضرب بعصاك الحجر فانفلق » اي فضرب ونحو « فأرسِلُون يوسف ايها الصديق » . اي فارسلوه فقال . وكثير من امثال العرب يشتمل على ايجاز الحذف

وايجاز الاختصار اداء المعاني بالفاظ اقل منها عددا دون حذف بل بتوخي ما يفيد من الالفاظ عدة معان نحو قولهم في المثل « القتل أنفَى للقتل » وقوله تعلى « ولكم في القصاص حياة » وقوله في الحديث « ليكن ثوبك الى الكعبين فانه انقى وابقى » وقول المعري : (اولو الفضل في اوطانهم غرباء) اراد ان يقول انهم مخالفون لاحوال عامة الناس كما بينه في بقية البيتين (٢) .

---

(١) اي الّا اذا منع منه مانع المقام كمقام خطاب الغبي ومقام التهويل فكلاهما مقام اطناب . (٢) تمام البيتين ٭ تَشِذُّ وتَنأى عنهمُ القرباء

فما سَبَأوا الرّاحَ الكُمَيتَ لِلَذّةٍ   ولا كان منهمْ للخرادِ سِباء

وكثير من امثال العرب يشتمل على ايجاز الاختصار وكذلك حُكم الحكماء.
واما الاطناب فبالتكرير في مقام التهويل نحو « ويل يومئذ للمكذبين » في سورة المرسلات ونحو (قربا مربط النعامة مني) في قصيدة الحرث بن عباد من ابطال حرب البسوس . وكنحو ذلك.

واعلم ان الاطناب والايجاز قد يطلقان على التوسع في الغرض المسوق له الكلام والاقتصاد فيه فيعد من الاطناب الاتيان بالجملة المعترضة او كثرة البيان والايضاح . ومن الايجاز ترك المقدمات في الخطب لضيق المقام ونحوه (١) وتعلق هذا النوع بفن البلاغة ضعيف بل هو من مباحث صناعة الانشاء (٢)

فن البيان

هو علم به يعرف البليغ كيفية ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة على حسب مقتضى الحال فتلك الطرق هي : الحقيقة . والمجاز . والتشبيه . والتصريح . والكناية .

التشبيه

هو من الحقيقة ولكنه لكثرة وروده في كلام البلغاء وشدة عنايتهم به منذ حفظ الشعر العربي استحق التخصيص بالتبويب واستحق التقديم على المجاز لتوقف بعض انواع المجاز عليه. فالتشبيه الدلالة الصريحة على الحاق شيء بشيء في وصف اشتهر فيه الملحَق به تقريبا لكمال الوصف المراد التعبير عنه كقولك هذا الفرس كالطائر في

---

(١) كقول ابي العاصي الثقفي لثقيف حين هموا بالارتداد عام الردة « كنتم ءاخر العرب اسلاما فلا تكونوا اولهم ارتدادا » وكذلك يرتكب الايجاز في الغرض لقصد ان يعي السامع الكلام كما كتب البديع لابن اخته « انت ابني ما دمت والعلم شانك . والمدرسة مكانك . والمحبرة حليفك . والدفتر اليفك . فان قصّرت ولا إخالك . فغيري خالك »

(٢) فيه تعريض بمن ذكر بعضه في فن المعاني كصاحب التلخيص

سرعة المشي (١) والمراد بالصريحة ما كانت بلفظ دال على الالحاق ملفوظ او مقدر . وخرج به الاستعارة والتجريد

وأركانه أربعة : طرفاه : وهما المشبه والمشبه به ووجهه : وهو ما يشترك فيه الطرفان. واداته : وهي ما يدل على الالحاق. اما الطرفان فقد يكونان حسيين وهو الغالب . وقد يكونان عقليين كتشبيه العلم النور والسيوف بانياب الاغوال . واما وجه الشبه فهو ما يتوهمه المتكلم وصفا جامعا سواء كان ثابتا في نفس الامر كالشجاعة في الاسد ام كان ثابتا في العرف كتشبيه العجوز بالسّعلاة وتشبيه المعاقَب على ذنب غيره بسبابة المتندم حين يعضها في قول ابن شَرَف القيرواني (المتوفى سنة ٤٩٠)

غيري جنى وانا المعاقب فيكمُ فكانني سبابة المتندّمِ

ام كان ثابتا في الوهم والخيال كتشبيه النجوم في الظلام بالسنن في خلال الابتداع في قول القاضي التّنُوخي (المتوفي سنة ٣٤٢)

وكأنّ النجوم بين دُجاها سُنن لاح بينهن ابتداع

والاكثر حذفه في الكلام وقد يذكر لخفائه

واداته الكاف. وكأنّ. ومِثل. وشِبه. ومَثَل . ونحوها وهي اما ظاهرة نحو هو كالبحر وكلامه كالدر . او مقدرة نحو هو اسد وقوله تعلى « صم بكم عمي » ويسمى بالتشبيه البليغ وليس باستعارة على اصح القولين

---

(١) انما زدت قيد الصريحة في تعريف التشبيه لاخراج ما دل على مشاركة امر لامر في وصف دلالة غير صريحة وذلك انواع الاستعارة . لان صورة الاستعارة لا تنبيء بالمشاركة بل هي اثبات الوصف لمن ليس متصفا به وانما يعلم قصد التشبيه بالقرينة كما ياتي وخرج ايضا التجريد الآتي في فن البديع فلا حاجة الى ما اطال به صاحب التلخيص. كما اننا عدلنا عن لفظ المشاركة الواقع في التلخيص لئلا يرد نحو تضارَب

واعلم ان وجه الشبه اذا كان وصفا منتزعا من امرين فاكثر سمي ذلك التشبيه تشبيه التمثيل سواء كان طرفاه مركبين كقول بشار

كأن مُثار النَّقْع فوق رؤوسنا   واسيافَنا ليل تَهاوَى كواكبه (١)

ام كان احدهما او كلاهما مفردا كقول النابغة

لَكلفتني ذنبَ امرىء وتركتَه   كذي العُرّ يُكْوى غيرُه وهو راتع

فانه شبه نفسه بالبعير المكوي لمرض غيره لأن ذلك هو المقصود كما شبه المرا بذي العر وكلا المشبهين مفرد والمشبه به الهيئة وتركب الطرفين معا يستلزم تركب وجه الشبه .

ويسمى بالتشبيه البليغ ما حذفت اداته فصار المشبه به خبرا عن المُشَبَّه نحو وجهك البدر

في قول :

وجْهك البدرُ لا بل الشمس لو لم   تُقض للشمس كسفة وأُفول

او صار حالا نحو والسماءَ بناء ومنه قول ابي الطيب

بدت قمرا ومالت خُوطَ بانٍ   وفاحت عنبرا ورنَت غزالا

او مضافا الى المشبه نحو تَمُرُّ مر السحاب ونحو ذَهَبُ الاصيل ولُجَيْن الماء .

في قول شاعر لم يعرف :

والريح تعبَث بالغصون وقد جرى   ذهب الاصيل على لُجَيْن الماء

وقد يعكس التشبيه ادعاء كقول محمد بن وُهَيْب :

وبدا الصباح كأنَّ غرته   وجهُ الخليفة حين يُمتدح

وقد يحذف المشبه به فيكون التشبيه مكنيا ويشار اليه ببعض ما هو من خصائص المشبه به كقول النابغة

فبتُّ كأن العائدات فَرَشْنَ لي   هراسا به يُعلَى فراشي ويُقشَب

---

(١) المختار ان الواو للمعية

فالمشبه به هو المريض الذي يشتد الم‍ه بالليل وقد حذفه واشار اليه بالعائدات لان المقصود تشبيه نفسه لا تشبيه العوائد وانما جاء بذكر فرشن لي زيادة في تهويل آلامه . وهذا النوع هو الذي تتفرع منه الاستعارة المكنية ولم يذكره المتقدمون

الحقيقة والمجاز

الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له والمجاز اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة الحقيقة وانما قلنا اللفظ دون الكلمة ليشمل هذا التعريف المجاز المفرد والمجاز المركب كما سياتي

وانما قلنا المستعمل في غير ما وضع له دون غيره من العبارات لان الكلمة تعد مجازا اذا استعملت في غير المعنى الموضوعة هي له في اللغة سواء كان استعمالها في المعنى المجازي اقل من استعمالها في المعنى الحقيقي ام مساويا او اشهر فان المجاز قد يشتهر ويسمى بالحقيقة العرفية مثل الزكاة والتيمم . ومثل الفاعل . والقياس (١) وقولي لعلاقة لاخراج الغلط واخراج المشاكلة الآتية في البديع . وقولي مع قرينة مانعة لاخراج الكناية ولبيان شرط ماهية المجاز .

والقرينة ما يفصح عن المراد لا بالوضع من كلمة نحو رايت اسدا يرمي او صيغة نحو قول المستنجد اين الأُسود الضارُون فان صيغة جمع العقلاء قرينة والا لقال الضارية. او حال الكلام نحو لقيت اسدا والمتكلم من اهل الحاضرة .

وتقييد القرينة بالمانعة لاخراج المعيِّنة لمعنى كقرينة ارادة احد معاني اللفظ المشترك او التي تُعيّن نوع المجاز من بين انواع يحتملها المقام فان تلك لابد منها اذا لم يكن المراد اذهاب نفس السامع كل مذهب ممكن كما تقول هو بحر فيحتمل الكرم والعلم .

والعلاقة هي المناسبة التي بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي والعلاقات كثيرة انهاها بعضهم الى ثمانٍ وعشرين واشهرها المشابهة. والسببية. والمجاورة. والبعضية

---

(١) اردت بهذا ان اشير الى عدم الاحتياج الى زيادة قيد في اصطلاح التخاطب في تعريف المجاز وان من زاده كالملخص نظر للظاهر

ويعبر عنها بالجزئية نسبة للجزء . والتقييد . اي اطلاق اللفظ الموضوع لمعنى مقيد على المعنى المطلق(١)والمثال . واضدادها . ويمكن ردها الى المشابهة والتلازم لان المراد اللزوم عرفا . فالمجاز ان كانت علاقته المشابهة سمي استعارة وان كانت علاقته غير المشابهة سمي مجازا مرسلا وقد يختلط مجاز اللزوم بالكناية . واهم انواع المجاز هو الاستعارة لشدة عناية بلغائهم بالتشبيه وتنافسهم فيه منذ زمن امرىء القيس ولـذلك سموّا مالم يبْنَ على المشابهة بالمرسل لانه المطلق عن التشبيه المعتبر عندهم (٢)

ولنبدأ بالكلام على المجاز المفرد ثم نتبعه بالمجاز المركب اما المجاز المفرد فقد تقدم تعريفه . فالمجاز المرسل المفرد كاطلاق الايادي على النعم في قوله * ايادي لم تُمنن وان هي جلت * واطلاق العين على الرقيب واطلاق اللسان على الذكر الحسن في قوله تعلى « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » ونحو ذلك وتفاصيلها غير صعبة .

والاستعارة المفردة تجري في الاسماء والافعال والحروف فكل كلمة من هاته الانواع اذا استعملت في غير ما وضعت له لمشابهة ما استعملت فيه لما وضعت له فهي استعارة فاستعارة الاسماء كثيرة واستعارة الافعال والحروف نحو * فلسان حالي بالشكاية انطُق * واستعارة الحرف في نحو « ولاصلبنكم في جذوع النخل وقوله فالتقطه آل

---

(١) وقد ظفرتُ له بمثالين من كلام العرب اردتُ ذكرهما هنا لقلة امثلته المثال الاول قول سلامة بن جَنْدَل

وَلّى حَثيثا وهـذا الشيْبُ يتبعُـه   لو كان يدركه رَكْضُ اليَعَاقيب

فجعل لليعاقيب وهي ذكور الحَجَل رَكْضا . الثاني قول طرفة في المُعلقة * و تلتمسني في الحَوانيت تَصْطُد * فاطلق على لقائه لفظ الاصطياد

(٢) هذا هو الوجه ولا يصح قول من قال انه ارسل فلم يقيد بعلاقه خاصة لكثرة علاقاته لان هذا لا يسمى ارسالا بل تكثيرا اذ الارسال لا يكـون الّا في مقابلة تقييد

فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » (١) ولا جدوى في تسميتها تبعية (٢) ولا يستعار الاسم العَلَم الَّا اذا تضمن وصفا مشتهرا كحاتم بالجود وسحبان بالفصاحة .

تنقسم الاستعارة الى مصرحة ومكنية

فالمصرحة هي التي صُرح فيها بلفظ المشبه به واستعمل في المشبه ملفوظا به، او مقدارا نحو « لدى اسد » . ونحو قول المجيب نعم لمن قال له مَثَلا « تناغي غزالا عند باب ابن عامر ؟ »

---

(١) هذان المثالان استعير فيهما حرفان لمعنيين تمكن تأديتهما بحرفين حقيقيين وهما على وفاءُ التفريع وقد تكون استعارة الحرف لمعنى ليس له حرف يؤدّى به كقوله تعلى « الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان ءاتاه الله الملك » فان هنالك استعارة تبعية لان لام التعليل محذوفة وقد جعل اتيانه الملك علة لانكار الربوبية فكان الكفر في موضع الشكر

(٢) اشرت الى ان تقسيم الاستعارة الى اصلية وتبعية تقسيم لا طائل تحته سوى ما يفيده كلام اسرار البلاغة من كون التبعية ابلغ والظاهر ان العلماء اضطروا الى اعتبار الاستعارة التبعية تنبيها على ما جاء من الاستعارات في فعل وفاعل مثل نطقت الحال مع صحة اعتبار الاستعارة في الفعل بتشبيه الدلالة بالنطق واعتبارها في الفاعل بتشبيه الحال باللسان وكذا قول عنترة ❊ وشكى الي بعَبرة وتحمحم ❊ فنظروا الى استعارة فعل الفاعل ولذا جعلوا استعارة الفعل المناسب لاستعارة الفاعل استعارة تبعية تنبيها على ان المقصود بالتشبيه هو الحدث لا فاعله ثم اذا جرت في الفعل سموها تبعية لانها ناشئة عن استعارة المصدر هذا رأي الجمهور وهو قليل الجدوى. والسكاكي نظر الى ان المقصود اولا هو تشبيه صاحب فعل بصاحب فعل آخر وترتب على ذلك تشبيه فعله بفعل الآخر فوجدها نوعا من الاستعارة المكنية فقول الجمهور وقول السكاكي هنا كقولهم في المجاز العقلي سواء بسواء فالتقسيم الى التبعية عند الجمهور ليس مبنيا على ملاحظة الاشتقاق كما توهمه كثير من الناس لانه لو كان كذلك لكان بحث علماء البيان فيه تطفلا .

والمكنية ويقال استعارة بالكناية وهي ان يستعار لفظ المشبه به للمشبه ويحذف ذلك اللفظ المستعار ويشار الى استعارته بذكر شيء من لوازم مسماه نحو قول ابي ذؤيب :

واذا المنية انشبت اظفارها   الفيتَ كل تميمة لا تنفع

فقد ظهر من ذكر الاظفار ان المنية شبهت بالسبع وقول ابي فراس :

فلما اشتدت الهيجاء كنا   اشد مخالبا واحدَّ نابا

ولا يضر بقاء لفظ المشبه في الكلام لانه صار مذكورا لغير قصد التشبيه بل لاكمال معنى اللازم المذكور الا ترى انه يجيء مضافا اليه كما في بيت ابي ذؤيب او يكون مذكورا في الخبر السابق كما في بيت ابي فراس (١)

واعلم ان هذا اللازم الذي هو من ملائمات المشبه به في المكنية قد يكون غير صالح للاستعارة فالاتيان به اذاً لمجرد كونه من لوازم ماهية اللفظ المحذوف كالاظفار في بيت ابي ذؤيب وكقول لبيد في المعلقة :

وغداةِ ريح قد كشفتُ وقرَّةٍ   اذ اصبحت بيد الشَّمال زمامُها

فشبه ريح الشمال براكب امسَكَ بزمام فرس البَرْد وجعل له يدا ولا يصلح اليد لان تكون تشبيها لشيء في معاني هذا البيت . وكذلك قوله تعلى « فكلوه هنيئا مريئا » شُبه المال الماخوذ بالطعام والشراب وجُعل له الهناءُ والمَرِيُّ وقد يكون هذا اللازم صالحا للاستعارة ايضا كما في قوله تعلى « الذين ينقضون عهد الله » فان النقض من لوازم الحبل الذي شبه به العهد ويصح مع ذلك ان يكون مستعارا لابطال العهد وكالاظفار في قول حسين بن الضحاك يخاطب عمرو بن مسعدة ليشفع له لدى المامون الخليفة :

---

(١) اشرت بهذا الى الجواب عما يرد على تفسير المكنية الذي اعتمدتُه هنا وهو مذهب السلف من انه يقتضي الجمع بين المشبه والمشبه به فيصير تشبيها بليغا لا استعارة . وحاصل الجواب اننا بعد تسليم كون التشبيه البليغ ليس باستعارة فلا نسلم ان هنالك جمعا بين المشبه والمشبه به لان ذكر لفظ المشبه به ليس مقصودا بالذات بل جيء به لبيان ان اللازم لم يُرد به الحقيقة فتامل .

انت يا عمرو قوتي وحياتي ولساني وانت ظُفْري ونابي

فانه اراد تشبيه نفسه بسبع وتشبيه المخاطب بالشيء الذي به يدافع السبع عن نفسه وذلك لا يبطل دلالته على المكنية لان مجرد إشعار اللفظ بلازم من لوازم المشبه به المكني كاف في كونه دليلا على المكنية (١)

واما المجاز المركب فهو الكلام التام المستعمل في غير ما وضع للدلالة عليه لعلاقة مع قرينة كالمفرد ،

ولا يختص بعلاقة المشابهة بل قد تكون علاقته غير المشابهة كالخبر المستعمل في التحسر لعلاقة اللزوم نحو : * هواي مع الركب اليمانين مُصعد * ، وكالانشاء المراد به الخبر كقوله * جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط * فيسمَّى حينئذ مجازا مركبا فقط ، وقد تكون علاقته المشابهة فيسمى **استعارة تمثيلية وتمثيلا** نحو : اني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى ، شبهت حالة المتردد في الراي بحال المتردد في المشي واستعير المركّب الدال على التردد في المشي للدلالة على معنى التردد في الراي ، وكذا قول عبد الله ابن المعتز :

إصْبِرْ على مَضَضِ الحسو د فانَّ صبرك قاتله
فالنَار تاكل نفسها انْ لم تجد ما تاكله

فقوله فالنار تاكل الخ مركب مستعمل في غير ما وضع للدلالة على معناه اذ هو الآن مستعمل في معنى ان الحسود يرجع وبال حسده عليه ولا يضرّ به الَّا نفسه كالنار تاكل نفسها اذا تُركت ولم يُلق فيها شيء تحرقه (٢) وكذلك قولهم انتهز

---

(١) اردت بهذا ان اجيب عما يرد على تجويز كون لازم المشبه به في المكنية مستعملا في معنى مجازي على طريقة المصرحة على ما جوزه صاحب الكشاف في « ينقضون عهد الله » وفي « فاذاقها الله لباس الجوع » من انه اذا كان مستعملا في معنى مجازي لم يكن حينئذ من لوازم المكنية

(٢) ويقاس على هذا المثال غيره واعلم ان كل تشبيه وجهه مركب من متعدد يصير استعارة تمثيلية بان تحذف اداة التشبيه وتستعير المركب المشبه به للمعنى المشبه.

الفرصة شبه هيئة المبادرة للفعل بالمبادرة لنوبة شرب الماء. والاستعارة التمثيلية تتفرع عن التشبيه المركب المتقدم ذكره .

هذا والبلغاء يتفننون فياتون مع الاستعارة بما يناسب المعنى المستعار اغراقا في الخيال فيسمى ذلك ترشيحا نحو قول زهير :

لدى اسد شاكي السلاح مقذّف   له لِبَد اظفاره لم تقلم

فقوله له لبد اظفاره لم تقلم ترشيحان . وقول النابغة :

وبنو سُواءة لا محالة انهم   اتوك غير مقلّمي الاظفار

وحتى أن ريح الشمال تمسك بيدها زماماً في قوله «بيد الشّمال زمامها».

وقد يأتون مع الاستعارة بما يناسب المعنى المستعار له إغراقاً في الخيال أيضاً بدعوى أن المشبه قد اتحد بالمشبه به فصارا حقيقة واحدة حتى أن الأسد يحمل بيده سيفاً في قوله لدى اسد شاكي السلاح، ويسمون ذلك تجريداً لأن الاستعارة جردت عن دعوى التشبيه إلى الحكم بالاتحاد والتشابه التام ويكون ذلك مع المصرحة والمكنية كما علمته في المصرحة. وأما المكنية فإن ما يذكر من لوازم المشبه به صالح أبداً ليكون ترشيحاً فكل من التجريد والترشيح إكمال للاستعارة وإغراق في الخيال ومن ثم لم يمتنع الجمع بينهما في كثير من كلامهم كما في بيت زهير المتقدم.

وهذا يحقق لكم ان كلا من الترشيح والتجريد مشتمل على مبالغة في التشبيه من جهة (١) وان الترشيح والتجريد يخالفان القرينة (٢) وان التجريد ليس بنكول

كما تعمد الى بيت بشار فتصيره « فسقطت شهبنا عليهم في ليل القتام » وكما تقول « فالتهمتهم نيران الرماح ولها في دخان الغبار اضطرام » وبذلك تكثر لديك امثلة صالحة للتمثيلية التي لم يكثروا لها التمثيل

(١) وفيه رد على قول من رأى ان اجتماع الترشيح والتجريد يصير الاستعارة مطلقة ودفع لما يقال كيف يجمع بين قصد المبالغة وقصد التضعيف في استعارة واحدة كبيت زهير .

(٢) لان القرينة في الغالب حالية فاذا كانت لفظية فالمتكلم لم يرد منها ترشيحا اي اغراقا في التشبيه على انه قد يقال ان الترشيح والتجريد يحصلان ولو

عن الاستعارة (١) وان الترشيح قد يكون باقيا على حقيقته اذا لم يكن لمعناه الوضعي شبيه كما في قوله « له لبد » وقوله تعلى « فكلوه هنيئا مريئا » اذا كان معنى فكلوه فخذوه اخذا لا رد فيه والهنيء المريء من صفات الطعام ولم يقصد هنا استعمالهما في وصف للمال كالإباحة لأنَّ معنى الإباحة قد استفيد من الأمر في قوله كلوه لأن الأمر هنا للاباحة ؛ وقد يكون استعارة اذا كان لمعناه شبيه يناسب التشبيه كما في قوله تعلى « واعتصموا بحبل الله جميعا » فهو استعارة على استعارة واذا كان صالحا لذلك لم يُظن بالبليغ ان يفلته . ومن النادر ان يقصد المتكلم من التجريد ابطال الاستعارة فيكون التجريد بمنزلة اخراج الخبْء كقولها

استغفر الله لامري كله قتلتُ ظبيا ناعما في دُله انتصف الليل ولم اصله

فانها لما ارادت تشبيه القرآن فى براعة مستمعه بالظبي في براعة المنظر نَبَّهَتْ على ان الظبي قرآن يصلى به . واذا جعل الترشيح استعارة لم يبطل ترشيحه للاستعارة الاولى لان استفادة الترشيح حاصلة من صورة لفظه (٢)

وما يجري من الترشيح والتجريد في المجاز المفرد يجري في التمثيل فمثال التجريد فيه قوله تعلى « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا » إلى قوله « ذهب الله بنورهم » فان جمع الضمير مراعاة للمشبه لا للمشبه به لانه مفرد . ومثال ترشيح التمثيلية قوله تعلى « يايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم الى الارض » فجملة اثاقلتم تمثيل لهيئتهم في التنصل من الخروج بهيئة الجسم الثقيل في صعوبة تنقله وقوله الى الارض ترشيح

مع اعتبار قرينة المصرحة تجريدا وقرينة المكنية ترشيحا لامكان دلالة كل على الامرين في آن واحد اذ هي اعتبارات ادبية يعتبرها المتكلم وينبه السامع اليها

(١) اردت بهذا بيان الفرق بين الترشيح الذي يعد مجرد ترشيح وبين ما يتعين ان يعد استعارة للرد على السمرقندي في قوله ويحتمل الوجهين

(٢) فلا يرد قول من قال ان الترشيح اذا جعل استعارة لم يبق مستعملا في ملائم المشبه به بل في ملائم المشبه فيصير تجريدا

الكناية

هي ما يقابل التصريح والمراد بها هنا لفظ اريد بـه ملزوم معناه مع جـواز ارادة المعنى اللازم وبهذا القيد الاخير خالفت المجاز المرسل الذي علاقته اللزوم (١) والاصل فيها ان يراد المعنى مع لازمه ويكون اللازم هو المقصود الاول فان البدوي اذا قال « فلان جبان الكلب ومهزول الفصيل » اراد ان كلبه وفصيله كذلك والمقصد وصفه بالكرم فاذا شاع ذلك صح اطلاقه ولو لم يكن له كلب ولا فصيل كما اذا قيل في وصف الحضري فلان جبان الكلب .

وهي تنقسم الى واضحة وخفية فالواضحة هي التي لا تحتـاج الى إعمال روية نحو قـولهم طويل النّجاد كناية عن طول القامـة وقول العرب مثلك لا يفعل كذا وغيرك لا يفعل يريدون انت لا تفعل قال تعلى « ويتبعْ غير سبيل المؤمنين » اي لا يتبع سبيل المؤمنين . والخفية التي تحتاج لاعمال روية اما لخفاء اللزوم نحو عريض القفا كناية عن الغباوة واما لكثرة الوسائط نحو كثير الرماد بمعنى كـريم (٢) . والكناية ابلغ من التصريح لمن كان ذكيا .

تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

اعلم ان البلغاء يتفننون في كلامهم فياتون فيه بما لا يجري على الظاهر الشائع

---

(١) ظفرت بمثال يتعين فيه ان يكون اريد لازم المعنى مع المعنى وذلك قوله تعلى « وأنه هو اضحك وابكى » اراد افرح واحزن والضحكَ والبُكاءَ كذلك

(٢) فان استلزام عَرض القفا للغباوة خفي لانه من الفراسة . وكثرة الرماد تستلزم كثرة احراق الحطب وهو يستلزم كثرة الطبخ فكثرةَ الآكلين فكثرةَ الضيوف وذلك يستلزم الكرم وهذه كناية عربية موجودة في ادبهم . قال من رثى طريفاً ابن تميم العنبري

عظيم رماد النـار لا مُتَعبِّس ولا مويسٌ منها اذ هو اوقدا

ومثله في حديث ام زرع زَوجي طويل النجاد كثير الرماد . فاذا اشتد الخفاء حتى اوقع في استبهام المراد سمي ذلك بالتعقيد المعنوي وهو ينافي الفصاحة .

بين اهل البلاغة يقصدون بذلك التمليح والتحسين او يعتمدون على نكت خفية يقتضيها الحال ولا يتفطن لها السامع لو لم يُلْقَ اليه ما يخالف ظاهر الحال (١)

فلا ينبغي ان يعد في خلاف مقتضى الظاهر ما كان ناشئا عن اختلاف الدواعي والنكت مع وضوح الاختلاف كالوصل في مقام الفصل وعكسه لدفع الايهام ; ولا الاطناب في مقام الايجاز لاستصغاء السامع ; لظهور نكتة ذلك. وكذا لا يعد ما كان ناشئا عن علاقة مجازية كاستعمال الخبر في الانشاء ولا ما كان ناشئا عن تنزيل الشيء منزلة غيره مع وضوح لانه من المجاز كالقصر الادعائي وكعكس التشبيه ; فتعين ان يوضع ذلك ونظائره في مواضعه من ابوابه وان كان فيه رائحة من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر من حيث ان الاصل خلافه وان الذهن لا ينصرف اليه ابتداء .

وانما يعد من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ما لم يكن ناشئا عن نكتة اصلا وهذا لا يوصف بموافقة مقتضى الحال ولا بمخالفته. وكذا يعد منه ما كان ناشئا عن نكتة خفية لا يتبادر للسامع ادراكها بسهولة وهذا يوصف بانه مقتضى حال لكنه خفي غير ظاهر .

فمن الاول الالتفات وهو انتقال المتكلم من طريق التكلم او طريق الخطاب او طريق الغيبة الى طريق آخر منها انتقالا غير ملتزَم في الاستعمال(٢) نحو الحمد لله رب العالمين الى قوله « اياك نعبد » فان مقتضى الظاهر ان يقول اياه نعبد

---

(١) اردت بهذا ان اشير الى ان النسبة بين مقتضى الظاهر ومقتضى الحال العموم والخصوص الوجهي فيكون بين نقيضيهما وهما خلاف مقتضى الظاهر وخلاف مقتضى الحال نسبة التباين الجزئي ومن العلماء من جعل مقتضى الظاهر نوعا من مقتضى الحال وقال ان مقتضى الحال قد يكون مقتضى ظاهر وقد يكون غير مقتضى الظاهر فتكون النسبة بين المقتضَيين وبين خلاف المقتضَيين العموم والخصوص مطلقا وهو اصطلاح والاول أَوْلى

(٢) احتراز عما كان ملتزما في الاستعمال بحسب قياس الكلام مثل انا زيد وانت عمرو او بحسب الطريقة المتبعة في نظائره مثل نحن الذين فعلوا كذا فان طريقة العرب في ضمير الموصول ان يعود اليه بطريق الغيبة

وقوله « والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه » فان مقتضى الظاهر ان يقال فساقه وله نكت تزيده حسنا في الكلام لها بيان في المطولات

ومنه ايضا الاسلوب الحكيم وهو تلقي من يخاطبك بغير ما يترقب او سائلك بغير ما يتطلب ، بان تحمل كلام مخاطبك (بكسر الطاء) على خلاف مراده تنبيها على انه الاولى له بالقصد كقول القبعثرى للحجاج وقد قال له الحجاج متوعدا اياه « لاحملنك على الادهم » يعني القيد فقال له القبعثرى « مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب » فصير مراده للفرس ومنه قول ....

اتت تشتكي مني مزاولة القرى ... وقد رات الاضيافَ ينَحُونَ منزلي
فقالت لها لما سمعت كلامها ... هم الضيف جدّي في قراهم وعجل

وبان تجيب سؤال السائل بغير ما يتطلب تنبيها على أنه الاولى بحاله او المهم له كقوله تعلى « يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج »

ومنه القلب وهو جعل احد اجزاء الكلام مكان الآخر لغير داع معنوي دون تعقيد ولا خطا ولا لبس (١) ويقصده البلغاء تزيينا للكلام فمنه ما ليس بمطرد نحو عرضت الناقة على الحوض وادخلت الخاتم في اصبعي ومنه مطرد في الكلام كثير عندهم حتى صار اكثر من الاصل نحو قولهم ما كاد يفعل كذا يريدون كاد ما يفعل وعليه قوله تعلى « وما كادوا يفعلون » وقوله « لم يكد يراها » ومن هذا النوع التشبيه المقلوب المذكور كله في البيان وعليه قول رؤبة .

ومهمّه مغبرّة ارجاؤه ... كأن لونَ ارضه سماؤه

وقد ظهر انّ هذا النوع كله لا حالَ تقتضيه ولكنه تمليح في الكلام .

ومن النوع الثاني من انواع تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ما تقدم في باب الاسناد من تنزيل غير السائل منزلة السائل ومنه مخاطبة الذي يفعل بالامر بالفعل لقصد الدوام على الفعل كما في « يايها الذين آمَنوا آمِنوا » او لعدم الاعتداد بفعله كما في الحديث « صلِّ فانك لم تصلِّ » .

---

(١) احترازا عما كان قلبا يوجب تعقيد الكلام او كان عن خطا او كان موجبا للبس .

ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقيق وقوعه لان المستقبل مشكوك في حصوله فاذا اردت ان تحققه عبرت عنه بالماضي اذ الماضي فعلًا قد حصل نحو قوله تعلى « ويوم ينفخ في الصور فَصَعِقَ من في السموات ومن في الارض » (١)

ومنه التغليب وهو اطلاق لفظ على مدلوله وغيره لمناسبة بين المدلول وغيره والداعي اليه اما الايجاز فيغلَّب اخف اللفظين نحو قولهم الابوين والعُمرين لابي بكر وعمر رضي الله عنهما . واما مراعاة الكثرية استعمال لفظ او صيغة في الكلام فتغلب على اللفظ او الصيغة المرجوحة نحو قوله تعلى « وكانت من القانتين » . واما لتغليب جانب المعنى على اللفظ نحو « بل انتم قوم تجهلون » ولعل هذا من الالتفات (٢)

فن البديع

البديع هو المحسّنات الزائدة في الكلام على المطابقة لمقتضى الحال

وتلك المحسنات اما راجعة الى معنى الكلام باشتمال المعنى على لطائف مفهومة تحسّنه وتُكسبه زيادة قبول في ذهن المخاطب ، واما راجعة الى لفظ الكلام باشتماله على لطائف مسموعة تونقه وتوجب له بهجة في سمع السامع

وقد مر في مقدمة هذا الموجز ان فن البديع هو اول ما افرد بالتاليف من فنون البلاغة وان مدونه هو عبد الله ابن المعتز العباسي

---

(١) شبه المستقبل بالماضي في التحقق فاستعير للدلالة عليه الفعل الدال على الماضي والقرينة قوله « ينفخ في الصور » بصيغة المستقبل . ومن هذا القبيل التعبير عن المستقبل باسم الفاعل او اسم المفعول نحو « وان الدين لواقع ، ذلك يوم مجموع له الناس » لان اسم الفاعل واسم المفعول حقيقة الحال

(٢) التغليب من خلاف مقتضى الظاهر الراجع الى المجاز كما صرح به في المطول فهو ذو قرينة خفية وهو اما مجاز مرسل علاقته اللزوم العرفي الادعائي واما استعارة علاقتها المشابهة في الجملة . وهذا بالنسبة للمعنى الذي لم يوضع له اللفظ واما بالنسبة للمعنى الذي معه فهو حقيقة فيكون من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه فيكون هذا التغليب مستثنى من الخلاف في صحة استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم　　بهن فلول من قراع الكتائب (١)

ومنه براعة الاستهلال وهي اشتمال اول الكلام على ما يشير الى المقصود منه كقوله في طالع قصيدة هناء :

بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا　　وكوكب المجد في افق العلا صعدا

واما المحسنات اللفظية . فمنها التجنيس ويسمى الجناس وهو تشابه اللفظين في النطق مع اختلاف المعنى وهو قديم في كلام العرب كما في المثل العربي القديم « هذا جَنَايَ وخياره فيه. اذ كل جان يده الى فيه » وفي القرآن منه كثير وقول ابي تمام :

ما مات من كرم الزمان فانه　　يحيى لدى يحيى ابن عبد الله

وقول الحريري :

سِم سِمةً تُحمد آثارها　　واشكر لمن اعطى ولو سِمْسِمَهْ

والمَكْرُ مهمى اسطعت لاتاته　　لتقتني السُّودد والمَكْرُمة

فان كان التشابه في غالب حروف اللفظين فهو غير تام كقوله تعلى « وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا »

ومنه القلب ويسمى الطرد والعكس وهو ان يكون الكلام اذا ابتدأته من حرفه الاخير وذهبت كذلك الى حرفه الاول يحصل منه عيْن ما يحصل من ابتدائه كقول القاضي احمد الارّجاني (نسبة الى ارّجان بفتح الهمزة وتشديد الراء المفتوحة كورة من كور الاهواز ويجوز تخفيف رائها)

---

(١) وهذا الذي سلكه النابغة هو احسنْ انواعه وهو ما يوهم عيبا في الظاهر او نحو العيب من المدح اذا كان الضد ذما ومثله ايضا قول الحريري :

ما فيه من عيب سوى انه　　يوم الندى قسمته ضيزى

بخلاف ما لا يكون فيه من الايهام الا ذكر لفظ الاستثناء او الاستدراك نحو قوله :

هو البدر الّا انه البحر زاخرا　　سوى انه الضرغام لكنه الوبل

مودتُـه تدوم لكـل هول　　　وهل كـلٌّ مودته تدوم

فهذا البيت اذا ابتـدأته من حرفه الآخر الى حرفه الاول كان مثل ابتدائـه من حرفه الاول .

ومنها الاقتباس والتضمين فالاقتباس هو اخذ شيء من القرآن او كلام النبوءة والتضمـين اخذ شيء من الشعر المشهـور ومزجه مع الكلام نظما او نثرا ولو مـع اختلاف الغرضين ولو مع تغيير يسير فمن الاقتباس قـول الحريري في المقامة الثانية « فلم يكن الّا كلمح البصر او هو اقرب حتى انشد فاغرب » . ومن التضمـين قول ضياء الدين موسى من ملهم الكاتب في هجاء الرشيد عمر الفَوي وكان اصلع واسنانه بارزة

اقول لمعشر جهلـوا وغضوا　　　من الشيخ الرشيد وانكروه

هو ابن جلا وطـلاع الثنـايا　　　متى يضع العمـامة تعـرفوه

ويجوز فيهما التغيير اليسير كما في المصراع الاخير المتقدم وكقول ابي القاسم ابن الحسن الكاتبي :

ان كنتَ ازمعت على هجرنـا　　　من غير ما جُرم فصبر جميل

وان تبدلت بنـا غيـرنا　　　فحسبنا الله ونعم الوكيل

وهذا آخر ما اردت املاءه في علم البلاغة . وارى فيه للقانع من هذا العلم مقنعه وبلاغه . وكان تمامه في منتهى شهر رمضان من عام ثلاثة واربعين وثلاثمائة والف بمرسى جرّاح الشهير بالمرسى كتبه مؤلفه محمد الطاهر ابن عاشور